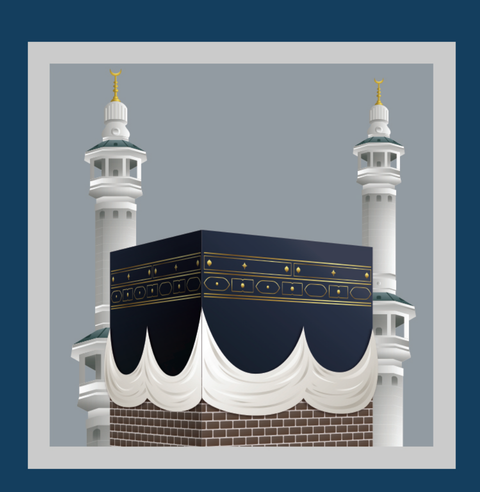




توقير ولي الأمر

مفهومه، فضله، وسائله، آثاره، ومسائله

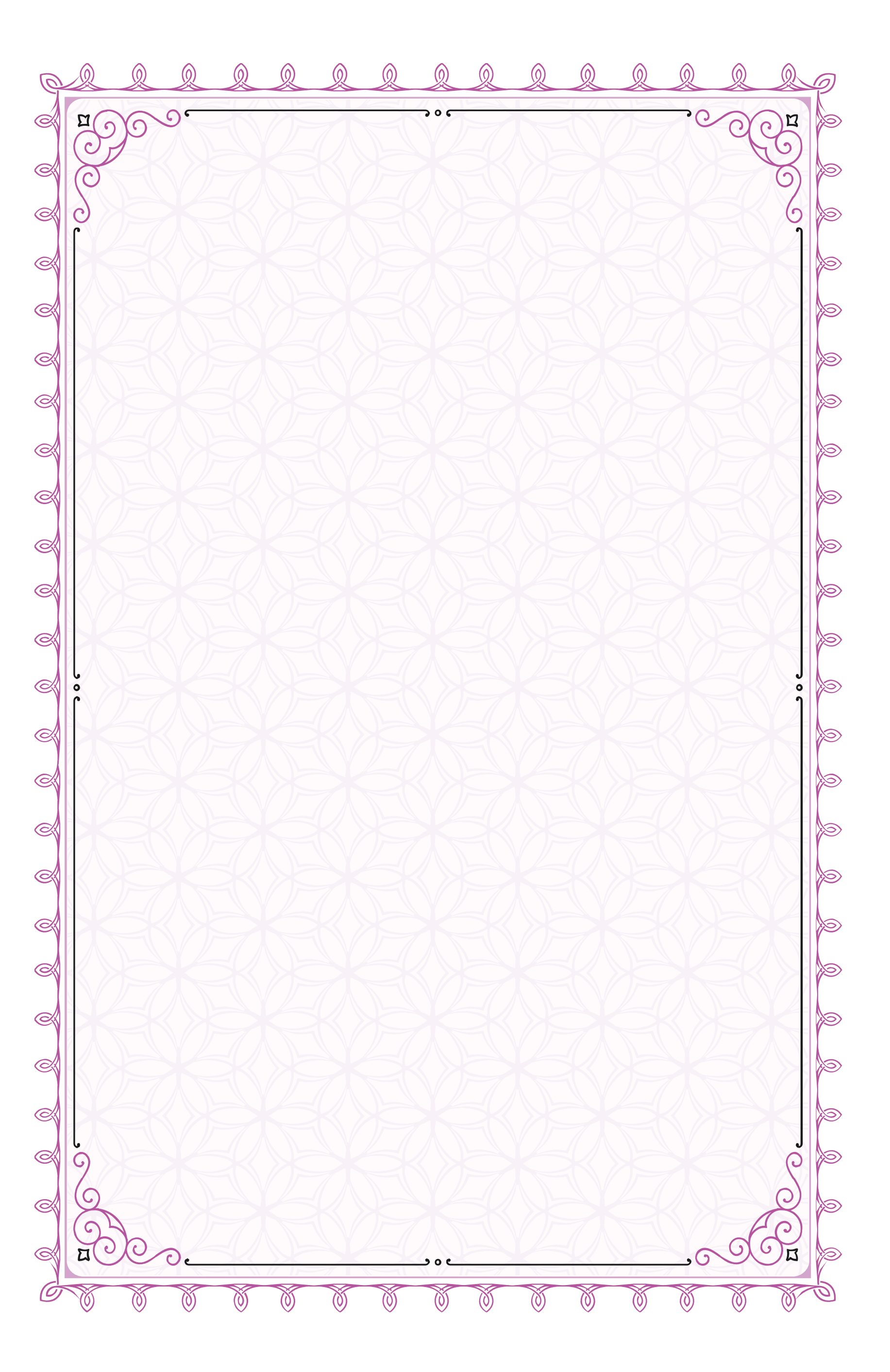
الأستاذ الدكتور
محمد بن سرار بن علي اليامي

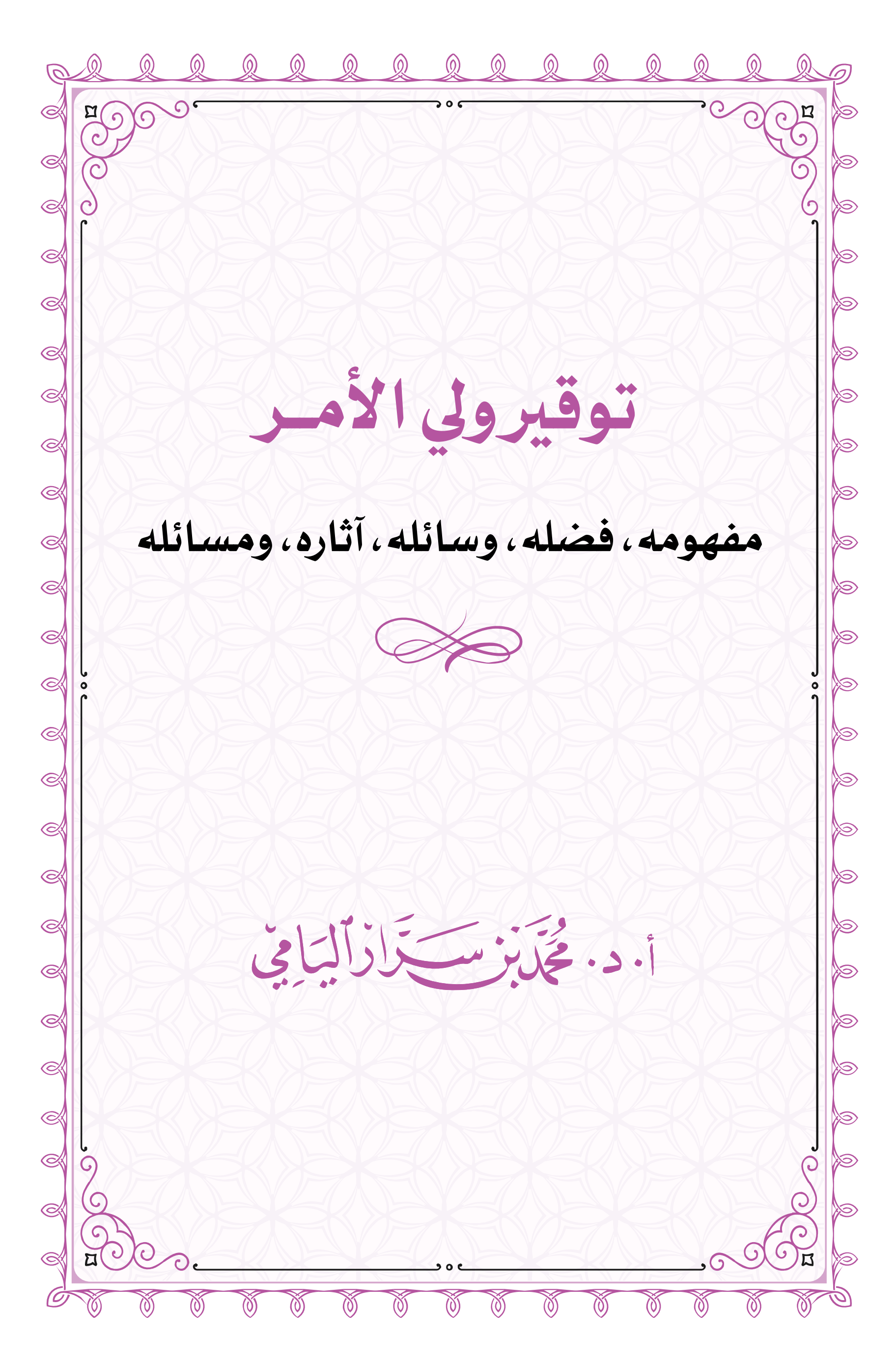




توقير ولي الأمـر

مفهومه، فضله، وسائله، آثاره، ومسائله





توقير ولي الأمر

مفهومه، فضله، وسائله، آثاره، ومسائله

أ.د. محمد بن سرار آل اليامي


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

لكل باحث عن الحياة الكريمة..

والعيش الرغيد...

وعمارة الأرض كما أمر الله...

أهدي هذه الورقات المؤسسة لذلك..

محمد





المقدمـة

الحمد لله رب العالمين جاعِل ولاة أَمْر المسلمين، لشئون الناس راعِين وعلى مَصالِحِهم قائِمين، والصلاة والسلام على خير إمام، وعلم الأعلام، وسيد الأنام، وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام...

أما بعد:

فلمَّا نبتت نابتة تظهر شعائر الإسلام في سلوكها ودعوتها، وتهدم أصوله في فكرها وأدوات منهجها، وتبعها من عوام أهل الجهل خلقٌ كثير، وما أكثر الناس خلف العُجُلِ المذاييعِ، حتى تنصلوا من أصول أهل التوحيد ، والمنهج الرشيد، بُغية لُعاعة من الدنيا، فثاروا مرددين خلف سيدهم، وإمامهم، وشيخ طريقتهم، الذي يسيرون على خطاه، حذو القذة بالقذة، "ذو الخويصرة"، الذي قال بكل صفاقة وقلة إيمان، وقلة أدب، لرسولنا الكريم ﷺ: اعدل يا محمد..

فقالوا تلك المقالة أيضًا:

لمَن ولَّاه الله أمر دينهم ودنياهم...

وزادوا على ذلك تسفيه من وقَّرهم، وتأدب معهم، فهيبة ولي أمر المسلمين وتوقيره، واحترام مراسيمه، واجب ديني، وضرورة دنيوية، لتحقيق أهداف الاستخلاف التي أمر بها الله عباده...

ولمَّا كان الأمر كذلك، رأيت لزامًا عليَّ بيان ذلك بهذه الأحرف الوجيزة للتذكير بهذه العقيدة العزيزة...

وعلى الله اعتمادي فيما حملت قلمي له، ومنه يطلب إخلاص مرادي... والسلام.

أ. د. محمد بن سرار اليامي



(واقع المسلمين في كل زمان ومكان يثبت أن توقير السلطان، وحفظ هيبة وليّ الأمر، له الدور الكبير في حقن الدماء وتجنّب الفوضى).



توقير ولي الأمر

فقد جعل الشارع الحكيم لأولي الأمر مكانة عالية ومنزلة رفيعة ورفعة جليلة ومنحهم إياها لتناسب قدرهم وعلو مكانتهم ورفيع منصبهم وعظيم مسؤليتهم، فإن منصبهم منصب الإمامة وضع ليكون خلفا للنبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا.

فإنَّ النَّاس لا يسوسهم إلا قوة الإمام وحزمه، فلو لم يعطه الشارع ما يناسب طبيعة عمله من فرض احترامه وتوقيره وتعظيمه والأدب معه ونحو ذلك لامتهنه الناس وسقطت هيبته وما انقاد الناس له، ومن ثم يحل البلاء والنقم وتعم الفوضى وتفوت المصالح فتفسد الدنيا ويضيع الدين[١].

فتوقير ولي الأمر وإعلاء هيبته من الأمور التي تضمن استقرار المجتمع وحفظ النظام، وقد جاءت الشريعة بتشريعات واضحة في تعظيم هذه القيمة، نظرًا لأهمية دور ولي الأمر في حراسة الدين وسياسة أمور الدنيا. يتمتع ولي الأمر بمكانة عالية في الإسلام تُناط به مسؤوليات كبرى، فهو المسؤول عن إدارة

(١) توقير السلطان والتأدب معه في ضوء الكتاب والسنة ومعاملة سلف الأمة، عماد أحمد عبد العظيم، ص٥ ـ ٦.

شؤون المجتمع وحفظ أمنه واستقراره ورعاية مصالحه.

أحد أهداف هذا التوقير هو ضمان طاعة الناس له وقبولهم لنصحه وتوجيهاته، وذلك يتطلب أن يُمنح المكانة التي تليق بعظيم دوره. فإذا لم يُحترم هذا المنصب أو قُلل من هيبته، ستجد الرعية من يسقط مكانته ويضعف تأثيره، مما يؤدي إلى تفشي الفوضى وتراجع الالتزام بالنظام وانتشار الفتن بين الناس.

كذلك، فإن توحيد الصفوف حول ولي الأمر يعزز من القوة ويرهب الأعداء، إذ يرون شعبًا متماسكًا ملتفًا حول قادته، وهذا الالتفاف قوة ردع للأعداء ومصدر أمان. ولهذا كان لزامًا على أهل العلم والحكمة تعزيز هيبة ولي الأمر وتوجيه الناس للاجتماع حوله، ليظل المجتمع آمنًا قويًا ومتماسكًا، وتحقيقًا للمصالح الدنيوية والدينية.

فإن الأدب في التعامل مع ولاة الأمر لا يحقق فقط مصالح عظيمة للمجتمع، بل يقيه من الفتن والمفاسد التي قد تنجم عن إساءة الأدب معهم، وقد ظهرت اليوم الحاجة الماسة لبيان هذه الآداب، خاصة وأن النقاش حول الحكام قد أصبح في بعض المجالس مثارًا للغيبة وإثارة الشحناء، مدفوعًا بأهواء وأغراض شخصية أو دعوات إلى تطبيق الشريعة بشكل لا يعكس مقاصدها الحقيقية.

وكان هذا البيان وفقًا للمنهج الوسطي في التعامل مع ولاة الأمر؛ منهج يجمع بين النصح بحكمة والالتزام بالأدب دون إسقاط مكانتهم أو ترك إنكار المنكرات.



(تزدهر البلدان التي توقِّر ولاة أمرها، وتحترمه؛ لأن شعوبها ينشغلون بعمارة الأرض "التنمية" كما استخلفنا الله فيها).



مفهوم التوقير في اللغة والاصطلاح

التوقير في اللغة: يعني التعظيم والاحترام، يُقال "وَقَرْتُ فلانًا" أي بَجّلتُه واعتبرتُ له هيبة. كما في قوله جل وعز: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]، حيث يشير إلى تبجيل النبي وعدم الاستخفاف به. فالتوقير يُستعمل بمعنى التعظيم، ويفرق بينه وبين "الوقار" الذي يأتي بمعنى الهيبة والسكون، كما يظهر في قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣][(١)].

التوقير في الاصطلاح: هو الاحترام والإجلال والإعظام، بما يعكس الاحترام الواجب تجاه من له مكانة خاصة، مثل الحاكم أو المعلم، مع ما يتضمنه من تواضع وتقدير[(٢)].

(١) انظر: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، ٥/ ٢٠٧؛ تاج العروس، محمّد بن محمّد الزبيدي، ١٤/ ٣٧٧؛ الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص ١٤٧؛ معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن زكريا ابن فارس، ٦/ ٢٢.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٣٢٩.

توقير ولي الأمــر:

توقير ولي الأمر من الواجبات الشرعية التي أمر بها الشارع الحكيم، حيث منحه مكانة رفيعة ومنزلة جليلة تتناسب مع عظم مسؤولياته ورفعة منصبه. فقد جعل الله تعالى لولاة الأمور مقامًا خاصًا، ليتسنى لهم أداء مهامهم الكبيرة في الحفاظ على الاستقرار للمجتمعات ورفعتها، وتنفيذ الأحكام بما يحقق العدالة ويصون حقوق الناس. ومن أبرز ما حث عليه الشارع في هذا السياق هو تعظيم قَدْر ولي الأمر، وتوقيره، وتقديم الطاعة له في الأمور التي لا تخالف الشريعة، وهو ما يُعد من أهم القيم التي يتبناها أهل السنة والجماعة.

ولذا كان من عقائد أهل السنة: توقير الأئمة وولاة الأمر.

ومن أدلة توقير الإمام وولي الأمر، ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "ليسَ مِنَّا مَن لم يرحم صغيرنا، ويُوَقِّرُ كبيرنا"[1].

قال الإمام الداني رحمه الله: "وواجب الانقياد للأئمة، والسمع والطاعة لهم في العُسر واليسر...، وإعظامُهُمْ وتَوْقِيرَهُمْ"[2].

(١) رواه أحمد، ٤/ ١٧٠، رقم (٢٣٢٩)؛ الترمذي، ٣/ ٤٨٠، رقم ١٩٢١.

(٢) الرسالة الوافية، أبو عمرو الداني، ص٢٤١.

وقال ابن حزم رحمه الله: "اتَّفَقُوا على توقير أهل القرآن والإسلام، والنبي، وكذلِكَ الخَليفَةُ، والفاضل، والعالم"[١].

وولاة الأمر من كبرائنا، سِنًّا، أو قَدْرًا، أو هُما معا.

قال ابن جماعة رحمه الله وهو يذكر حقوق الحكام: "الحق الرابع: أن يعرف لَهُ عظيم حقه، وَمَا يجب من تعظيم قدره، فيعامل بما يجب له من الاحترام وَالْإِكْرَامِ، وَمَا جعل الله تَعَالَى لَهُ من الإعظام..."[٢].

قال حذيفة رضي الله عنه محذرًا من احتقار ولي الأمر أو التقليل من شأنه: "مَا مَشَى قَوْمٌ إِلَى سُلْطَانِ اللهِ فِي الْأَرْضِ لِيُذِلُّوهُ، إِلَّا أَذَلَّهُمُ اللهُ"[٣].

وفي رواية: "أَلَا لَا يَمْشِيَنَّ رَجُلٌ مِنكُمْ شِبْرًا إِلَى ذِي سُلطَانٍ لِيُذِلَّهُ، فلا والله لا يزالُ قَوْمٌ أَذَلُّوا السُّلْطَانَ أَذِلَاءَ إِلى يوم القيامةِ"[٤].

وعن زيد بن أسلم، عن كعب الأحبار رحمه الله قال: "ثلاثة نجد

(١) مراتب الإجماع، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، ص١٨٢.
(٢) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، بدر الدين الشافعي، ص ٦٣.
(٣) المصنف، عبد الرزاق، ١١/ ٣٤٤، رقم (٢٠٧١٥(؛ الأموال، ابن زنجويه، ١/ ٨٥، رقم (٤٧)؛ الفتن، الداني، ٢/ ٣٨٧، رقم (١٢٩).
(٤) المصنف، ابن أبي شيبة، ٢١/ ١٨٤، رقم (٣٨٦٠٣).

في الكتاب، وحق علينا أن نكرمهم وأن نشرفهم وأن نوسع عليهم في المجالس: ذو السن، وذو السلطان، وحامل الكتاب"[١].

قال ابن عابدين الحنفي رحمه الله: "مَطْلَبٌ تَعْظِيمُ أُولِي الْأَمْرِ وَاجِبٌ. قَوْلُهُ: وَذَلِكَ أَنَّ تَقْدِيمَ الْوُلَاةِ وَاجِبٌ لِأَنَّ فِي التَّقْدِيمِ عَلَيْهِمْ ازْدِرَاءَ بِهِمْ، وَتَعْظِيمُ أُولِي الْأَمْرِ وَاجِبٌ"[٢].

وقال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: "فالواجب علينا احترام ولاة أمورنا من العلماء، واحترام ولاة أمورنا من الأمراء، وأن نبذل لهم النصيحة، وبذل النصيحة ليس هو الفضيحة على رءوس المنابر وفي المجالس العامة، في تتبع مساوئهم فبعض الناس تجده يقول: قال العالم الفلاني: كذا وكذا وقد أخطأ؛ فهذا خطأ ويقول: فعلت الدولة كذا وكذا وقد أخطأت هذا ليس من النصيحة في شيء"[٣].

ومن صور توقيره وتعظيمه: حسن الخلق معه، والتلطف بالكلام، ويرحب به إذا لَقِيَهُ، وعند إقباله عليه، ويُعامِلُه بالبشاشة، وطلاقة الوجه، وظهور البشر، وحسن المودة.

(١) المعرفة والتاريخ، الفسوي، ٣/ ٣٨٧.
(٢) الدر المختار، علاء الدين الحصكفي الحنفي، ٦/ ٣٢٢.
(٣) اللقاء الشهري، ابن عثيمين، ١/ ٣٤.

وينبغي له إذا خاطَبَهُ أَلَّا يُسمِّيه، بل يذكره بلقبه إنزالا له في منزلته[(١)].



(الانسجام بين الحاكم والمحكوم يسهم في ردع الأعداء، وتقليل فرص التوترات الداخلية وقوة اللُّحمة الاجتماعية، والرباط الوطني؛ مما يسهم في التفرغ للبناء والتنمية، ويجعل البلاد مكانًا آمنًا للجميع).

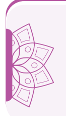
---

(١) هيبة ولى الأمر وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ وَضَرُورَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، دغش بن شبيب العجمي، دار الخزانة، دولة الكويت، ط٤، ٢٠١٩م، ص١٥٢.

فضل توقير ولي الأمر

٠١	عبادة تقود إلى الجنة وتجنب من النار	٠٢	أنه امتثال لأمر رسول الله ﷺ ونيل النجاة في الدنيا والآخرة
٠٣	توقير ولي الأمر فيه اتباع للسنَّة	٠٤	توقير ولي الأمر فيه رفعة للعبد في الدنيا والآخرة
٠٥	توقير ولي الأمر فيه صلاح الدنيا والآخرة	٠٦	توقير ولي الأمر فيه حفظٌ للدِّين
٠٧	توقير ولي الأمر فِيه حِفْظٌ لِلأَمْنِ	٠٨	توقير ولي الأمر فِيه حِفْظٌ للنظام





فضـل توقيرولي الأمر

(١) عبادة تقود إلى الجنة وتجنب من النار:

توقير ولي الأمر يُعَد من العبادات التي تحظى بأهمية في الإسلام، فهو يعبر عن احترام مكانة ولي الأمر وتقدير دوره في تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع. يُنظر إلى هذا التوقير كجزء من الطاعة الشرعية التي تُسهم في تعزيز وحدة الصف، وتُعين على تماسك الأمة. وقد أُثِر عن العلماء أن احترام السلطان وولي الأمر وتجنب انتقاص هيبته يسهم في حفظ هيبة النظام العام، مما يحقق مصالح العباد ويجنب الفتن.

فتوقير ولي الأمر ليس مجرد سلوك اجتماعي، بل عبادة يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى، فيحظى برضاه، مما يفتح له أبواب الجنة ويبعده عن موارد العذاب، إذ إن في التوقير إعانة على الطاعة ودعمًا لتحقيق العدل، وهو ما يعود بالنفع على الفرد والمجتمع.

والدليل على ذلك حديث معاذ بن جبل قال: قال: "خمس مَنْ فَعَلَواحِدَةً مِنْهُنَّ كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللهِ ﷺ: من عاد مريضًا، أو

خرج مع جنازة، أو خرجَ غازيًا، أَوْ دَخَلَ على إِمامِهِ يُرِيدُ بِذَلِكَ تَعْزِيرَهُ، وتوقيره، أو قعد في بيته فَسَلِمَ الناسُ مِنْهُ، وَسَلِمَ من الناس"[(١)].

قال العلامة نور الدين السندي: "ضامنا على الله" أي: ذا ضَمَانٍ، والمُراد: مضمونا على الله تعالى أن يدخله الجنة أو يرزقه الخير"[(٢)].

ومنها: حديث أبي بكرة، فقد جاء أن ابن عامر - وكان واليًا - صعد المنبر يوم الجمعة وعليه ثياب رقاق، فقال أبو بلال: انظروا إلى أميركم يلبس ثيابَ الفُسَّاقِ!

فقال أبو بكرة ﷺ: اسكت، فإني سمعت النبي يقول: "مَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللهِ أَكْرَمَهُ اللهُ، وَمَنْ أَهَانَ سُلطَانَ اللهِ أَهَانَهُ اللهُ"[(٣)].

قال شيخنا ابن عثيمين ﷺ: "من أهان السلطان أهانه الله ومن أعان السلطان أعانهالله؛ لأنه أعان على خير وعلى بر، فإذا بينت للناس ما يجب عليهم للسلطانأعنتهم على طاعته في غير معصية فهذا خير كثير بشرط أن يكون إعانة عليالبر والتقوى

(١) رواه أحمد، ٣٦/ ٤١٢، رقم (٢٢٠٩٣)؛ السنة، ابن أبي عاصم، ٢/ ٦٩٦، رقم ١٠٥٥ - ١٠٥٦؛ المعجم الكبير، الطبراني، ٢٠/ ٣٨، رقم ٥٥.
(٢) حاشية مسند الإمام أحمد، ١٣/ ١٠٩.
(٣) رواه أحمد، ٣٤/ ٧٩، رقم (٢٠٤٣٣، ٢٠٤٩٥)؛ التاريخ الكبير، البخاري، ٣/ ٣٦٧؛ الترمذي، ٤/ ٨١، رقم ٢٢٢٤.

وعلى الخير"[١].

(٢) أنه امتثال لأمر رسول الله ﷺ ونيل النجاة في الدنيا والآخرة:

من الفضائل العظيمة لتوقير ولي الأمر أنه يعكس امتثالًا لأمر رسول الله ﷺ، الذي حضّ على احترام ولي الأمر وطاعته في غير معصية، لما في ذلك من استقرار وأمان للأمة. ويؤدي توقير ولي الأمر إلى تحقيق النظام وحفظ الحقوق، مما يعود بالنفع على المجتمع بأسره. كما أن توقير ولي الأمر يُعد سببًا لنيل رضا الله ﷻ، والفوز بالنجاة في الدنيا من الفتن، وفي الآخرة بالثواب العظيم.

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ﵀ قَالَ: لَمَّا خَرَجَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ، لَقِيَهُ رَكْبٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا ذَرٍّ، قَدْ بَلَغَنَا الَّذِي صُنِعَ بِكَ، فَاعْقِدْ لِوَاءً يَأْتِكَ رِجَالٌ مَا شِئْتَ. قَالَ: مَهْلًا مَهْلًا يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: "سَيَكُونُ بَعْدِي سُلْطَانٌ فَأَعِزُوهُ مَنِ الْتَمَسَ ذُلَّهُ ثَغَرَ ثُغْرَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ تَوْبَةٌ حَتَّى يُعِيدَهَا كَمَا كَانَتْ"[٢].

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ١/ ٧٢٠.
(٢) إسناده صحيح.

(٣) توقير ولي الأمر فيه اتباع للسنَّة:

توقير ولي الأمر يُعد من علامات اتباع السنة النبوية، إذ يشير إلى التزام العبد بتوجيهات النبي ﷺ في احترام ولي الأمر، مما يسهم في تعزيز الوحدة والاستقرار. وفي المقابل، فإن من يهين ولي الأمر ويستخف بمكانته يخالف السنة وينحاز إلى مسلك أهل البدع والأهواء، كطوائف الخوارج والروافض، الذين خرجوا عن إجماع الأمة وسعوا في زرع الفتنة وإضعاف النظام العام. لذا، فإن توقير السلطان وولي الأمر ليس مجرد احترام اجتماعي، بل هو مظهر من مظاهر التزام المسلم بمنهج السنة، واجتناب لمواقف الفتنة والانقسام.

يستدل لذلك: بما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: "مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا، فَلَيْسَ مِنَّا"(١).

وعن ابن طاووس عن أبيه قال: "مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُوَقَّرَ أَرْبَعَةٌ: الْعَالِمُ، وَذُو الشَّيْبَةِ، وَالسُّلْطَانُ، وَالْوَالِدُ"(٢).

(١) الأدب المفرد، البخاري، ص٣٥٤.
(٢) إسناده صحيح: الجامع، معمر بن راشد، ٢/ ٣٧٩؛ مصنف عبد الرزاق، ١١/ ١٣٧؛ الشعب، البيهقي، ٦/ ١٩٨، عن ابن طاووس عن أبيه به.

(٤) توقير ولي الأمر فيه رفعة للعبد في الدنيا والآخرة:

من أعظم فضائل توقير ولي الأمر أن الله يرفع به درجة العبد في الدنيا والآخرة، ويجعل له مكانة مميزة بين الناس. فإكرام ولي الأمر والالتزام بتوقيره يعكس احترام المسلم للنظام والطاعة لأوامر الله ورسوله ﷺ، مما يؤدي إلى نيل البركة وتسخير قلوب العباد لإكرام من يبجل ولي الأمر. وهذا التوقير يُعد من أسباب رفعة العبد في المجتمع، ويُكسبه محبة الناس واحترامهم، كما يفتح له أبواب الثواب في الآخرة، لتكون أعماله سببًا في رضوان الله وحسن عاقبته.

قال الشيخ عبد السلام بن برجس رحمه الله: "وفي المقابل: من أكرم السلطان بحفظ ما أثبته الشارع له من الحقوق والواجبات فأجله وعزره وقدره ولم يخرج عن أمره في المعروف كان جزاؤه من جنس عمله المبارك، فأكرمه الله تعالى في هذه الدنيا برفعته وتسخير قلوب العباد لإكرامه وفي الآخرة بدخول الجنة"[(١)].

(٥) توقير ولي الأمر فيه صلاح الدنيا والآخرة:

من فضائل توقير ولي الأمر أنه يُعَد سببًا رئيسيًا في صلاح دنيا الناس وآخرتهم، إذ إن احترام ولي الأمر واتباع أوامره في

(١) معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، عبد السلام بن برجس، ص٥٩.

غير معصية يساهم في استقرار المجتمع وتحقيق العدالة، مما يعين الناس على العيش في بيئة آمنة ومستقرة. بالمقابل، فإن الاستخفاف بولي الأمر وإهانته يؤدي إلى إفساد الأمور، وينشر الفتن ويعكر صفو الحياة العامة، مما يضر بمصالح الناس في الدنيا ويعرضهم للفساد في الآخرة. وبالتالي، فإن توقير ولي الأمر يعزز من تماسك المجتمع ويدعم الاستقامة في الدين، في حين أن إهانته يؤدي إلى الفرقة والضياع.

قال سهل بن عبد الله التستري ﵀: "لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء؛ فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم"[١].

(٦) توقير ولي الأمر فيه حفظٌ للدِّين:

هيبة ولي الأمر من منافعها حفظ الدِّينِ، فَإِنَّ كثيرًا من أهل الفساد من: أهل الشهوات، أو الشبهات، يمتنعون عن إذاعة شرورهم خشية من ولاة الأمور.

فكم من صاحب رذيلة وفساد خُلُقي اختفى عن الأنظار ولم يُدع شرَّهُ ويَنشُرُ الفاحشة أو المنكرات الأخلاقية بسبب خوفه من عقوبة السلطان.

(١) التفسير، القرطبي، ٥/ ٢٦٠.

وكم من صاحب كُفْرٍ أَخْفى عقائده الكُفْرِيَّةَ خوفًا من ولاة الأمور، والعقوبة التي ستلحق به(١).

وكم من بدعة تم إخفاؤها ويتسار بها أصحابها فيما بينهم ولا يُظهرونها بسبب الخوف وقُوَّةِ ولاة الأمور ومنعهم لها(٢).

قال سلمان الفارسي رحمه الله لأحد الصحابة لما حدَّثَ بما فُهِم منه الطعن في بعض الصحابة رضي الله عنهم: "واللهِ لتَنْتَهِينَّ أو لأكْتُبنَّ إِلَى عمر"(٣).

وقال أيوب السختياني رحمه الله: "أنا نازلتُ فلانًا في القدر غير مرة حتى خوفته السلطان". فقال: "لا أعود فيه بعد اليوم"!(٤).

وقال برهان الدين البقاعي رحمه الله: "فإنّ مَصالِحَ الدِّينِ مِن غير هيبة السلطان لا يمكن رعايتها"(٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أَنَّ وِلايَةَ أَمْرِ الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدِّينِ إلَّا بها، وأنَّ الأمر

(١) هيبة ولى الأمر وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ وَضَرُورَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، دغش بن شبيب العجمي، ص١٥٨.
(٢) هيبة ولى الأمر وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ وَضَرُورَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، دغش بن شبيب العجمي، ص١٦٠.
(٣) سنن أبو داود، ٥/ ٣٣، رقم ٤٦٥٨.
(٤) الطبقات، ابن سعد، ٧/ ١٦٧؛ المعرفة والتاريخ، الفسوي، ٢/ ٣٤.
(٥) نظم الدرر، أبي بكر البقاعي، ١٩/ ٣٠٢.

بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يتمان إِلَّا بِقُوَّةٍ وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه الله..."[١].

وقال الطرطوشي رحمه الله: "وليس للرعية أن تعترض على الأئمة في تدبيرها وإن سولت لها أنفسها، بل عليها الانقياد وعلى الأئمة الاجتهاد، فالطاعة تؤلف شمل الدين، وتنظم أمر المسلمين، وعصيان الأئمة يهدم أركان الملة"[٢].

يقول أبو عبد الله القلعي الشافعي رحمه الله: "نظام أمر الدين والدنيا مقصود، ولا يحصل ذلك إلابإمام موجود لو لم نقل بوجوب الإمامة، لأدى ذلك إلى دوام الاختلاف والحرج إلى يوم القيامة"[٣].

ويقول العز بن عبد السلام رحمه الله: "وعلى الجملة فالعادل من الأئمة والولاة والحكام أعظم أجرًا من جميع الأنام بإجماع أهل الإسلام، لأنهم يقومون بجلب كل صالح كامل، ودرء كل فاسد شامل"[٤].

فتوقير وهيبة ولي الأمر من أهم العوامل في حفظ الدين

(١) السياسة الشرعية، ابن تيمية، ص٢٣٢.
(٢) سراج الملوك، الطرطوشي، ص٢٢١.
(٣) تهذيب الرئاسة وترتيب السياسة، القلعي الشافعي، ص٩٤ - ٩٥؛ انظر لهذا المعنى: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢٨/ ٣٩٠.
(٤) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، ١/ ١٤٣.

وصون المجتمع، حيث يمتنع كثير من أهل الفساد من نشر شرورهم خوفًا من عقوبة السلطان. فالرادع الذي تمثله سلطة ولي الأمر يمنع أصحاب الرذائل والانحرافات من إذاعة الفواحش والأفكار المخالفة، ويكبح أصحاب العقائد المنحرفة عن إظهار ضلالاتهم، مما يساهم في حماية المجتمع الإسلامي من الفتن والفساد الأخلاقي والعقائدي.

(٧) توقير ولي الأمر فِيه حِفْظٌ لِلأَمْنِ:

توقير ولي الأمر وحفظ هيبته يُعدَّان من أهم أسباب حفظ الأمن وتحقيق الاستقرار في المجتمع، حيث يقوم ولي الأمر بدور السراج الذي ينير الطريق لرعيته، ويوفر لهم بيئة آمنة لإدارة شؤون حياتهم وأعمالهم. كما أن هيبة ولي الأمر القوي تُمثِّل رادعًا للمفسدين وأصحاب الفساد، وتمنعهم من نشر الضرر.

مثال السلطان القوي لرعيته كمثال البيت الذي يضيء بسراج منير، حيث يستفيد الجميع من ضوئه لأداء أعمالهم بسلام. فإذا انطفأ السراج، تعم الفوضى ويتعطل العمل وتظهر الكائنات الضارة كاللصوص والحشرات الضارة لتعبث بالبيئة الآمنة. كذلك، فإن سلطانًا قويًا يقهر المعتدين ويحمي دماء الناس وأعراضهم، فيكون المجتمع في أمن وازدهار؛ الأسواق عامرة،

والأموال محروسة، والحرمات مصونة، ويختفي الفساد خوفًا من العقوبة، فيعم النفع وتقل المضار[١].

وقال الفقيه ابن جماعة الشافعي رحمه الله: "فإنَّ بذلك: صلاح البلاد، وأمنُ العِبادِ، وَقَطْعُ مَواد الفَسَادِ؛ لأنَّ الخَلْقَ لَا تَصلُحُ أحوالهم إلا بسلطان يقوم بسياستهم، ويتجرد لحراستهم؛ ولذلك قال بعض الحكماء: جور السلطان أَربَعينَ سنة خيرٌ مِن رَعِيَّةٍ مُهْمَلَةٍ ساعة واحدة"[٢].

وقال شيخنا العلامة ابن عثيمين رحمه الله: "كما أنَّ وُلاةَ الأَمرِ مِن الأمراء والسلاطين يجب احترامهم، وتوقيرهم؛ لأنهم إذا احتقروا أمام الناس، وأُذِلُّوا، وَهُونَ أَمرُهم: ضاع الأمن، وصارت البلاد فوضى، ولم يكن للسلطانِ قُوَّةٌ ولا نفوذ"[٣].

وهذا من أعظم مقاصد إقامة الإمام بين الناس، فإذا احتقر الإمام وأهين ضاع هذا المقصد العظيم الذي تقوم عليهكثير من المقاصد الشرعية.

بل حتى في أداء العبادات قد تحصل الفتن لولا وجود هيبة

(١) انظر: سراج الملوك، الطرطوشي، ص ١٨٥ - ١٨٧.
(٢) تحرير الأحكام، بدر الدين الشافعي، ص٢٤٦.
(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ٣/ ٢٣١ باختصار.

السلطان في النفوس، ولذلك لا بد في وجوده أو وجود من ينيبه فيها ليمنع الناس من الفتن[١].

(٨) توقير ولي الأمر فِيه حِفْظٌ للنظام:

توقير ولـي الأمـر يُسـهِم فـي حفـظ النظـام العـام واسـتقرار المجتمع، حيث يفرض هيبة على الجميع ويعزز احترام القوانين والالتـزام بهـا. عنـدما يـدرك الأفـراد أهميـة احتـرام ولـي الأمـر، يتعـاونون علـى تطبيـق النظـام، ممـا يمنـع الفوضـى ويكـبح المخالفـات. هـذا التـوقير يـدعم السـلطة فـي أداء مهامهـا لحمايـة الحقـوق وتحقيـق العـدل، ممـا يـؤدي إلـى بيئـة يسـودها النظـام وتتحقق فيها مصالح الجميع.

ويقول الإمام الماوردي رحمه الله: "إن الله جلت قدرته ندب للأمة زعيمًا خلف به النبوة وحاط به الملة وفوض إليه السياسة ليصدر التدبير عن دين مشروع، وتجتمع الكلمة عن رأى متبوع، فكانت الإمامة أصلًا عليه استقرت قواعد الملة، وانتظمت به مصالح الأمة، حتى استثبتت بها الأمور العامة، وصدرت عنها الولايات الخاصـة. ولـولا الـولاة لكـان النـاس فوضـى مهملـين وهمجًـا

(١) هيبة ولى الأمر وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ وَضَرُورَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، دغش بن شبيب العجمي، ص١٦٩.

مضاعين"[١].

نبه القرافي رحمه الله إلى أن بعض "المصالح والمقاصد الشرعية لا تحصل إلا بِعَظَمَةِ الولاة في نفوس الناس"[٢].

وذكر الماوردي رحمه الله في شروط الناظرِ في المَظَالِمِ "أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبة"[٣].

قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: "إن اللهَ لَيَزَعُ بالسلطان، ما لا يَزَعُ بالقرآن"[٤] ويزع: أي يكف ويمنع[٥].

فمن الناس من لا يرتدع بالمواعظ القرآنية والنواهي والزواجر، بل تراه ينهمك في المحرمات والظلم وغير ذلك، فحينما يرى أنَّ السلطان سيعاقبه على الظلم - مثلا - تراه ينكف عنه وينزجر ويبتعد، لا خوفا من الله أو من واعظ القرآن والشرع، ولكن خوفا من ولي الأمر الذي يمنع ظُلم الناس بعضهم لبعض.

(١) الأحكام السلطانية، أبو الحسن الماوردي، تصحيح محمد بدر الدين النعساني الحلبي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٠٩م، ص ٢-٣.
(٢) الفروق، أبو هلال العسكري، ٤/ ٣٠٦.
(٣) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص١٤٨.
(٤) تاريخ المدينة، ابن شيبة، ٣/ ٩٨٨؛ الكامل، ابن المبرد، ١/ ٣٥٠؛ التمهيد، ابن عبد البر، ١/ ١١٨.
(٥) انظر: الكامل، ابن المبرد، ١/ ٣٥٠.

ولذا كان من واجبات ولاة الأمر ردع الظلمة، والفَسقة عن الفساد في الأرض، ومن هنا شرعت الحدود والتعزيرات التي يحكم بها ولي الأمر، فيرتدِعُ الفُسَاقُ عن كثير من المعاصي...

ولو ضاعت هيبة ولي الأمر لأدى ذلك إلى التجاوز على الحقوق، وانتشار الفوضى في تطبيق القانون، حتى في أيسر الأمور كتجاوز الإشارة الحمراء وما يَتْبَعُ ذلك من الحوادث التي تُؤدي إلى موت، أو إعاقة، أو تلف مال، أو غير ذلك(١).



(الهيبة التي تنبع من توقير وليّ الأمر تقوي وحدة الوطن، وتحافظ على مصالح الوطن والشعب).

(١) هيبة ولى الأمر وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ وَضَرُورَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، دغش بن شبيب العجمي، ص١٧٣.



وسائل توقير وتوفير الهيبة لولاة الأمر

١. جمع القلوب وتأليفها على ولي الأمر

٢. القِيَامِ عَلَى رَأْسِ وَلِي الْأَمْرِ وَخِدْمَتِهِ إِظْهَارًا لِهَيْبَتِهِ

٣. إظهار الهيبة لولي الأمر أمام العدو لإرهابه

٤. الامتناع عن مخالفة ولي الأمر في القول أو الفعل، ما لَمْ يَكُن حرامًا

٥. استحباب التجمل بالثوب الحَسَن والعمامة ونحوهما عند الدخول على ولي الأمر

٦. نُصح ولي الأمر ووعظه سرًّا

٧. الرفق في نُصح ولي الأمر

٨. الإخلاص في نُصح ولي الأمر

٩. عدم التكلم مع ولي الأمر بصيغة الأمر

١٠. أن يُنعت عند التكلم معه

١١. يُزار من الناس ولا يزور هو الناس

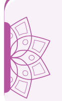
١٢. الدعاء لولي الأمر

١٣. الصبر على ظلمه

١٤. النظر في عاقبة الخروج على ولي الأمر

١٥. أداء العبادات مع وُلاة الأمر من باب توقيرهم

١٦. توقير ولي الأمر بالنصرة والتناصر



وسائل توقير وتوفير الهيبة لولاة الأمر

(١) جمع القلوب وتأليفها على ولي الأمر

أحد أبرز مظاهر توقير ولي الأمر وتوفير هيبته في قلوب الناس هو جمع القلوب وتأليفها حوله، مما يعزز مكانته ويثبت دعائم الاستقرار. فقد ينفر بعض الأفراد من ولي الأمر لأسباب متعددة؛ كضعف فهمهم، أو تأثير الشائعات، أو إثارة أهل الأهواء والمغرضين. في هذه الحالة، يأتي دور أهل الحكمة والعقل والدين في تهدئة النفوس وإزالة الشبهات، وتعليم الجاهل، وتوضيح فضائل ولي الأمر وأهمية وجوده، حتى وإن وُجدت بعض مظاهر التقصير أو الظلم. هذا التأليف يدعم وحدة المجتمع، ويثبت هيبة ولي الأمر، مما يعزز الاستقرار ويقوي النظام العام.

وقد جاء عن بعض السلف دفاعهم عن أئمتهم؛ لتجتمع القلوب عليهم.

فقد ذكر ابن المنير المالكي أنه نُقل عن بعض السلف أنه

دعالسلطان ظالم! فقيل له: أتدعو له وهو ظالم؟

فقال: إي - والله -، أدعو له، إنَّ ما يدفع الله ببقائه أعظمُ مِمَّايندفع بزواله[(١)].

وقال المناوي الحنفي رحمه الله - في ذكر ما يكون من النصيحة لولي الأمر -: "وذلك بمعاونتهم على الحق....، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم"[(٢)].

وجمع القلوب على ولي الأمر من النصيحة له.

وقال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: "ومن المناصحة لهم -يعني: ولاة الأمر-: تأليف القلوب على ولي الأمر، وأن يبتعد عن كل ما يُوجِبُ النفرة عليه، والحقد والعداوة...، وأن تعتذر عمَّا يُمكن الاعتذار عنه، وإذا كان شيء لابد من إدانته، فالمناصحة.

أما ملء القلوب على ولاة الأمر بما هم عليه من الخطأ، فهذا لا يزيد الأمر إلَّا شِدَّةً"[(٣)].

لذا يجب على أهل العلم والتقوى والصلاح أن يسعوا لجمع القلوب حول ولي الأمر بكل السبل المشروعة، سواء

(١) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتساف، ابن منير الاسكندراني، ٤/ ١٠٦؛ معاملة الحكام، العلامة البرجس، ص١٨٧.

(٢) الجواهر المضية في بيان الآداب السلطانية، زين الدين المناوي، ص١٤٥.

(٣) التعليق على السياسة الشرعية، محمد بن صالح العثيمين، ص٤٥٢؛ وعد هذا الفعل من النصيحة له في: شرحه للأربعين النووية، ص١٢١-١٢٠.

من خلال الثناء عليه أمام الناس، أو الدعاء له، أو ذكر فضائله، وبيان مِنَّةِ الله بوجوده، وما يترتب على وجوده من مصالح عظيمة للمجتمع.

(٢) القِيَامِ عَلَى رَأْسِ وَلِي الْأَمْرِ وَخِدْمَتِهِ إِظْهَارًا لِهَيْبَتِهِ:

يُعَد القيام على رأس ولي الأمر وخدمته من مظاهر التوقير والاحترام التي تسهم في إظهار هيبته وتعزيز مكانته أمام الناس. ففي المواقف الرسمية، يظهر القيام على رأس ولي الأمر، سواء بالحماية أو بالاحتفاء، رسالة رمزية تعبر عن مكانته في قلوب رعيته، وتعزز من مشاعر الولاء له. وتاريخيًا، كان الصحابة يُظهرون هذا الاحترام للنبي ﷺ في المواقف التي تستدعي إظهار القوة والعزّة أمام الخصوم، كما فعل المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في صلح الحديبية عندما كان يقف بالسيف عند رأس النبي ﷺ احترامًا وإظهارًا للهيبة.

وقال نصير الدين السامري الحنبلي رحمه الله: "ويُكرَهُ قيام الرَّجُل لغيره، إلَّا: السلطان، أو العالم، أو الوالد"[(١)].

قال العلامة موسى الحجاوي رحمه الله: "وجُملَتُهُ: أَنه يُكْرَهُ أن يقوم لغيره، إلا أن يكون سلطانًا، أو عالمًا، أو والدًا، أو سيدًا.

(١) المستوعب، السامري الحنبلي، ٢/ ٨٢٥.

أما السلطان، فإنه نائب الشريعة، وقائم بالسياسة، فيُقام له إكرامًا لِمَنْزِلَتِهِ"[(١)].

(٣) إظهار الهيبة لولي الأمر أمام العدو لإرهابه:

إظهار الهيبة لولي الأمر أمام العدو يُعَد من أبرز وسائل تعزيز قوة الجبهة الداخلية ورفع معنويات الأمة. فعندما يرى العدو التفاف الرعية حول ولاة أمرهم، وهيبتهم لهم، وتوقيرهم لقراراتهم، يشعر بتماسك الداخل وقوة الوحدة، مما يضعف من عزيمته في محاولات استهداف المجتمع. هذه الهيبة تخلق صورة متماسكة للأمة، وتبعث رسالة قوية للعدو بأن أي محاولة للمساس بوحدة المجتمع أو استهداف قيادته ستواجه صمودًا وتماسكًا لا يُمكن كسره. إظهار التقدير والاحترام لولي الأمر في مثل هذه المواقف هو من الوسائل الاستراتيجية التي تضمن وحدة الصف وثبات المواقف أمام التحديات.

ومن الأدلة في هذا:

لمَّا قَدِمَ عمر بن الخطاب ﵁ الشَّامَ تلقَّاهُ مُعاوية بن أبي سفيان ﵁ في موكب عظيم وهيئة، فلما دنا من عمر، أنتَ صَاحِبُ المَوْكِبِ العظيم؟

(١) شرح منظومة الآداب، موسى بن أحمد الحجاوي الدمشقي، ص١٦٨.

قال: نعم، يا أمير المؤمنين.

قال: مع ما بَلَغَني عنكَ مِن طُولِ وقوفِ ذَوِي الحاجاتِ بِبَابِكَ؟

قال: مع ما بَلَغَكَ مِن ذلك!

قال: ولِمَ تَفْعَلُ ذلك؟

قال: يا أمير المؤمنين، إنا بأرض جواسيس العدو فيها كثيرةٌ، فَيَجِبُ أَن نُظْهِرَ مِن عِزِّ السُّلطانِ مَا نُرْهِبُهم به، فإن أَمَرْتَني فعلتُ، وإن نَهَيتَني انتَهَيْتُ.

فقال له عمر: يا معاوية! ما سأَلْتُكَ عن شَيْءٍ إِلَّا تَرَكْتَني في مثلِ رَوَاجِبِ الضَّرْسِ.

لَئِن كان ما قُلتَ حقا، إنهُ لِرَأَي أَرِيبٍ، ولئن كان باطلا إنهُ لخديعة أديب.

قال: فَمُرْني يا أمير المؤمنين.

قال: لا آمُرُك ولا أَنْهَاكَ.

فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين! ما أَحْسَنَ مَا صَدَرَ الفتى عَمَّا أَوْرَدْتَهُ.

قال عمر: لِحُسْنِ مصادره ومَوَارِدِهِ جَشَّمْناهُ ما جَشَّمْناه[1].

(١) رواه ابن أبي الدنيا في حلم معاوية له، ص١٩، رقم (٢)؛ تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، ٥/٣٣١؛ تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٥٩/١١٢- =

فتأمل داهية السياسة معاوية رضي الله عنه كيف خرج في هذا الموكب العظيم مع ما قد يكون فيه؛ لأجل إظهار هيبة ولي الأمر في نفوس العدو، فالجواسيس تراقب وتتابع وتتجسس لتنقل الأخبار للعدو، فتحلل موقف الشعب والأمة من ولي أمرها، هل تهابه وتجله، أم أنها تحتقره وتزدريه، فإن كانت الأولى حسبوا له ألف حساب وخافوا من هذه الأمة وهابوها، وإن كانت الأخرى تجرأوا عليها، وقد يكون ذلك سببا في غزوها، أو نشر الفوضى فيها.

ولذلك لما حكاها ابن خلدون رحمه الله قال: "فَسَكَتَ ولم يُخطئه لما احتج عليه بِمَقْصَدٍ مِن مقاصد الحق والدين"(١).

(٤) الامتناع عن مخالفة ولي الأمر في القول أو الفعل، ما لَمْ يَكُن حرامًا:

من الأمور التي يُوقَّر بها السلطان وولي الأمر: الامتناع عن مخالفته في القول أو الفعل ما دام ذلك لا يتعارض مع الأحكام الشرعية. فالتوقير يتطلب من الرعية احترام قرارات ولي الأمر ما لم يكن في ذلك تجاوز لحدود الشرع أو ارتكاب لمحرم. فمتى كان أمر السلطان موافقًا للشرع، كان من الواجب على المسلمين

= ١١٣؛ الاستيعاب، ابن عبد البر، ٣/ ٣٧٧؛ السير، الذهبي، ص١٣٣٣؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ١١/ ٤١٥-٤١٦١.

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ١/ ٣٥٦.

طاعته واتباعه، لأن في ذلك تحققًا لمصلحة الأمة وحفظًا للنظام. أما إذا كان الأمر مخالفًا لما أمر به الله ورسوله، فهنا يتوجب على المسلمين مناصحة السلطان والاعتراض بطريقة مشروعة دون إخلال بهيبته أو النظام العام.

عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ قُلْنَا: وَمَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَقْعُدَ، وَأَذَرَ النَّبِيَّ[(١)].

ولا يقال هذا في الصلاة فقط وإمامة الصلاة، وإلا فقد قال النووي رحمه الله: "فيه أنه ينبغي الأدب مع الأئمة والكبار وأن لا يخالفوا بفعل ولا قول ما لم يكن حراما"[(٢)].

ويقول الإمام الغزالي رحمه الله: "إن الدنيا والأمن على النفس والأموال لا تنتظم إلا بسلطان مطاع.. وعلى الجملة لا يتمارى العاقل في أن الخلق على اختلاف طبقاتهم وما هم عليه من تشتت الأهواء وتباينالآراء لو خلوا وراءهم ولم يكن رأى مطاع يجمع شتاتهم لهلكوا من عند آخرهم وهذا داء لا علاج له إلا بسلطان قاهر مطاع يجمع شتات الآراء. فبان أن نسلطان ضروري في نظام الدنيا"[(٣)].

(١) أخرجه البخاري، (١١٣٥)؛ مسلم، (٧٧٣).
(٢) شرح مسلم، ٦/ ٦٣.
(٣) الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، القاهرة، ١٣٢٧هـ، ص ٩٦.

(٥) استحباب التجمل بالثوب الحَسَن والعمامة ونحوهما عند الدخول على ولي الأمر:

من الأمور التي يُوقَّر بها ولي الأمر استحباب التجمل بالثوب الحسن والعمامة ونحوهما عند الدخول عليه أو على الأمراء. فالتجمل في الملبس يعكس الاحترام والتقدير للمكانة الرفيعة التي يشغلها ولي الأمر، وهو دليل على إظهار هيبته وتعظيمه في نظر الرعية. هذا السلوك يعزز من الصورة العامة لمكانة ولي الأمر في قلوب الناس، ويشجع على الحفاظ على النظم الاجتماعية.

قال عمر رضي الله عنه: "فَإِذَا صَاحِبِي الْأَنْصَارِيُّ يَدُقُّ الْبَابَ، فَقَالَ: افْتَحْ افْتَحْ، فَقُلْتُ: جَاءَ الْغَسَّانِيُّ؟ فَقَالَ: بَلْ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ، اعْتَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَزْوَاجَهُ، فَقُلْتُ: رَغَمَ أَنْفُ حَفْصَةَ وَعَائِشَةَ، فَأَخَذْتُ ثَوْبِي فَأَخْرُجُ حَتَّى جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَشْرُبَةٍ لَهُ يَرْقَى عَلَيْهَا بِعَجَلَةٍ وَغُلَامٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَسْوَدُ عَلَى رَأْسِ الدَّرَجَةِ، فَقُلْتُ لَهُ: قُلْ: هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَذِنَ لِي، قَالَ عُمَرُ: فَقَصَصْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ هَذَا الْحَدِيثَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ حَدِيثَ أُمِّ سَلَمَةَ تَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ..."(١).

(١) أخرجه البخاري، (٤٩١٣)؛ مسلم، (١٤٧٩).

قال النووي رحمه الله: "فيه استحباب التجمل بالثوب والعمامة ونحوهما عند لقاءالأئمة والكبار احتراما لهم"[(١)].

وعَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَأَى حُلَّةً سِيَرَاءَ[(٢)] عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ اشْتَرَيْتَ هَذِهِ فَلَبِسْتَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلِلْوَفْدِ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ...[(٣)].

فإذا كان قد شرع للسلطان أن يتجمل عند لقاء الوافدين والواردين عليه، فيكون التجمل في حق من دخل عليه من باب أولى[(٤)].

(٦) نُصْح ولي الأمر ووعظه سرًّا:

من الأمور التي يُوقَّر بها ولي الأمر: نصحه ووعظه سرًّا. فالنصيحة في السر لولي الأمر تُعتبر من أسمى أشكال التوقير، حيث يجب أن تكون بعيدًا عن التشهير أو الإضرار بمكانته أمام

(١) شرح مسلم، ١٠/ ٨٧.

(٢) حلة سيراء - بكسر السين المهملة وفتح الياء آخر الحروف ممدود: وهو نوع من البرود يخالطه حرير كالسيور. عمدة القاري، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، ١٠/ ٣٢.

(٣) أخرجه البخاري، (٨٨٦)؛ مسلم، (٢٠٦٨).

(٤) توقير السلطان والتأدب معه في ضوء الكتاب والسنة ومعاملة سلف الأمة، عماد أحمد عبد العظيم، دار الإمام البربهاري، ط١، ١٤٣٧هـ، ص٦١.

العامة. فالنصيحة السرية تعزز من العلاقة الطيبة بين ولي الأمر ورعيته، وتساهم في الحفاظ على استقرار الحكم وتوجيهه إلى ما فيه خير الأمة.

النصيحة مطلوبة بصفة عامة من المسلمين جميعا بعضهم لبعض حكامًا ومحكومين. ويشترط فيها أن تكون بلين ورفق، وأن تكون في السر؛ لما رواه جرير بنعبد الله البجلي رضي الله عنه، قال: "بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم"(١). وجاء تفصيل لذلك فيما رواه تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الدين النصيحة"، قلنا لمن؟ قال: "الله، ولكتابه، ولرسوله ولأئمة المسلمين، وعامتهم"(٢).

قال الإمام النووي رحمه الله: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين، فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وتألف قلوب الناس لطاعتهم... ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم، والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج عليهم بالسيف إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم وأن يدعى لهم بالصلاح"(٣).

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، ح ١٩٩.
(٢) صحيح مسلم، ح ١٩٦.
(٣) شرح مسلم، النووي، ص ٣٩.

آداب يجب مراعاتها عند مناصحة ولاة الأمور أهمها:

أن تكون سرًّا لا جهرًا، فالمؤمن يستر وينصح، فعندما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر، قال: "إن كنت فاعلا ولا بد ففيما بينك وبينه"(١).

وهذا توجيه شرعي يحفظ للسلطان هيبته ويدرأ عنه الفتنة؛ لأن الإنكار على السلطان علانية يفتح بابا للشر، ويملأ القلوب بالضغينة عليه، فعندما قيل الأسامة بن زيد رضي الله عنه زمن الفتنة: "ألا تنكر على عثمان؟، قال: أنكر عليه بيني وبينه، ولا أفتح باب شر على الناس"(٢).

والنصيحة لولي الأمر تكون سِرًّا بين الناصح وولي الأمر، ولا تكون على المنابر أو الأماكن العامة.

قال العلامة نور الدين السندي رحمه الله: "من أراد أن ينصح لسلطان" أي: نصيحة السلطان ينبغي أن تكون في السر لا بين الخلق(٣).

(١) جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، ص ٢٢٥.
(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ٥/ ٢٣٦.
(٣) حاشية مسند الإمام أحمد، ٨/ ٢٣٨.

ومن الأدلة على ذلك: أنَّ رَجُلًا سأل ابن عباس ﷺ: آمر أميري بالمعروف؟

فقال له ابن عباس ﷺ: "إن كنت لا بد فاعلا: فيما بينك وبينه"[(١)].

قال الإمام سعيد بن منصور ﷺ: "زاد أبو عوانة: ولا تَعْتَب إمامَكَ".

وقال ابن مسعود ﷺ: "إذا أتيت الأمير المُؤَمَّرَ، فلا تأتِهِ على رؤوس الناس"[(٢)].

وبالجملة: فقد كان السلف يكرهون وعظ الأمراء على رؤوس الأشهاد، ويُحِبُّونَ أن تكونَ سِرًّا فيما بين الواعظ والحاكم، ويرون أن ذلك من علامات النصح[(٣)].

(١) رواه سعيد بن منصور - قسم التفسير - ٤/ ١٦٥٧، رقم (٨٤٦)؛ المصنف، ابن أبي شيبة، ٢١/ ١١٩، رقم (٣٨٤٦٢)؛ الشعب، البيهقي، ١١/ ٢٦٣، رقم (٧١٨٦).

(٢) رواه سعيد بن منصور، ٤/ ١٦٦٠، رقم (٨٥٠)؛ ابن أبي شيبة، ٢١/ ١١٩، رقم (٣٨٤٦٣).

والمعنى: إذا أتيته لتنكر عليه، كما تدل عليه رواية سعيد في سننه" في تفسير الآيات: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

(٣) ينظر: الفرق بين النصيحة والتعبير، ابن رجب الحنبلي، ص٣٦.

(٧) الرفق في نُصْح ولي الأمر:

من الأمور التي يُوقَّر بها السلطان وولي الأمر: الرفق في النصيحة إجلالًا له وهيبةً وحفظًا لمنزلته. فالنصيحة الرفيقة تُظهر الاحترام والتقدير للسلطان، وتعمل على تصحيح المسار دون الإضرار بكرامته أو مكانته. كما أن الرفق في تقديم النصيحة يضمن أن تكون أكثر قبولًا ويُسهم في تعزيز العلاقة بين السلطان ورعيته، مما يعزز الاستقرار والتلاحم داخل المجتمع.

ومن التوقير للسلطان: أنه ينبغي لمن صحب السلطان ألا يكتم عنه نصيحته وإن استقلها، وليكن كلامه له كلام رفق لا كلام خرق، حتى يخبره بعيبه من غير أن يواجهه بذلك، ولكن يضرب له الأمثال ويعرفه بعيب غيره ليعرف به عيب نفسه[١].

فالرفق في النصيحة والموعظة مطلوب في كل حال، وهو مع السلطان والأمير أشد تأكيدًا؛ لأنَّ السلطان له هيبته ومكانته ومنزلته شرعًا وعُرفًا.

ومن شأن الغلظة أن تُذهِبَ هِيبَتَهُم مِن القُلوب، وتُقلِّلُ مِن قيمتهم، ومقدارهم عند الناس، وقد يَظُنُّونَ ضَعْفَهُ، وهذا كُلُّهُ مخالف لإكرامه وتعظيمه وإظهار هيبته.

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، ٦/ ١٣.

فالواعظ يترفق في موعظَتِهِ، ويتلطَّفُ غاية التلطف[١].

قال ابن الجوزي رحمه الله: "فإن وعظ سُلطانًا تلطف معه غاية ما يُمكن، ولم يُواجهه بالخطاب؛ فإنَّ الملوك إنما اعتزلوا الناس ليبقى جاههم، فإذا ووجهوا بالخطابرأوا ذلك نقصا"[٢].

وقال سفيان الثوري رحمه الله: "لا يأمر السلطان بالمعروف إلا رجل: عالم بما يأمر، عالم بما ينهى، رفيق فيما يأمر، رفيق فيما ينهى.."[٣].

ومن الأدلة على وجوب الرفق وحسن الأدب في نصيحة ولاة الأمر: حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه لما قال لعمرو بن سعيد رضي الله عنه وهو يبعث البعوث إلى مكة لقتال ابن الزبير رضي الله عنه: "ائذن لي أيُّها الأمير أحدثك قولا قام به النبي الغد من يوم الفتح سمعته أُذناي ووعاه قلبي وأبصَرَتْهُ عيناي حين تكلم به، حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا الله ولم يُحرمها الناس..."[٤].

(١) هيبة ولى الأمر وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ وَضَرُورَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، دغش بن شبيب العجمي، ص٢٠٢.

(٢) القصاص والمذكرين، ابن الجوزي، ص٣٦٨.

(٣) الحلية، أبو نعيم، ٦/ ٣٧٩؛ عطف العلماء على الأمراء، ابن الجوزي، ص٤٢.

(٤) رواه البخاري، ١/ ٣٢، رقم (١٠٤)؛ مسلم، ٢/ ٩٨٧، رقم (١٣٥٤).

وبيَّن الشيخ ابن عثيمين رحمه الله الطريقة الصحيحة لمناصحة ولاة الأمور فقال: "فإن الواجب علينا إذا رأينا خطًا من ولاة الأمور أن نتصل بهم شفويا أو كتابيا ونناصحهم، سالكين بذلك أقرب الطرق في بيان الحق لهم، وشرح خطئهم، ثم نعظهم ونذكرهم فيما يجب عليهم من النصح لمن تحت أيديهم ورعاية مصالحهم ورفع الظلم عنهم"(١).

(٨) الإخلاص في نُصْح ولي الأمر:

فيجب أن يكون الناصح عالمًا مخلصًا، يقصد بنصحه وجه الله عز وجل قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

أما إن صدرت النصيحة ممن لا يحسن الخطاب لولي الأمر، فقد يُعرض نفسه للأذى، إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن، فنزل على ابن أخيه الحربن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضي الله عنه، وكان القراء أصحاب مجلس عمر رضي الله عنه ومشاورته كهولًا كانوا أو شبانًا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا

(١) وجوب طاعة السلطان في غير معصية الرحمن، العريني، ص ٢٤.

الأمير فاستأذن لي عليه، فاستأذن فأذن له عمر، فلما دخل قال: هيه يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل[١] ولا تحكم فينا بالعدل، فغضب عمر رضي الله عنه حتى هم أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال النبيه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٩]، وإِنَّ هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها، وكان وقافا عند كتاب الله تعالى[٢].

(٩) عدم التكلم مع ولي الأمر بصيغة الأمر:

من الأمور التي يُوقر بها ولي الأمر: عدم التكلم معه بصيغة الأمر. فقد جاء في آداب التعامل مع الحكام والولاة أنه لا يجوز مخاطبة السلطان بصيغة الأمر أو التوجيه بشكل مباشر، بل ينبغي استخدام أسلوب الأدب والاحترام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "افْعَلُوا..."[٣].

---

(١) العطاء بلا تأخير ولا عدة. ينظر: المخصص، ابن سيده، ٣/ ٤١٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن المرسلين، ١٣/ ١٤٦، رقم ٦٨٥٦.

(٣) أخرجه مسلم، (٢٧).

قال النووي ﵀: "وقولهم: "لو أذنت لنا" هذا من أحسن آداب خطاب الكبار والسؤال منهم فيقال: لو فعلت كذا أو أمرت بكذا، لو أذنت في كذا وأشرتبكذا، ومعناه: لكان خيرا أو لكان صوابا ورأيا متينا أو مصلحة ظاهرة، وما أشبه هذا، فهذا أجمل من قولهم للكبير: "افعل كذا" بصيغة الأمر"(١).

يُعد المثال السابق نموذجًا مهمًّا في بيان الأدب الذي دعا إليه الإسلام في التعامل مع أولي الأمر وأصحاب المكانة. فعندما طلب الصحابة ﵃ الإذن من النبي ﷺ للنحر، عبروا بقولهم: "لو أذنت لنا"، تجنبًا لصيغة الأمر المباشر. يظهر هذا الأسلوب حرصًا على التواضع وتقديرًا لمقام النبي ﷺ، ويعكس فهمًا عميقًا لأدب الطلب واحترام القيادة.

وقد أبدى الإمام النووي في تعليقه حكمة هذا الأسلوب، موضحًا أنه يعبر عن تقدير وتوقير للسلطة دون إجبار، مما يعزز مناعة المجتمع وترابطه حول قيادته. ومن شأن هذا الأدب الرفيع أن يزيد من وحدة الصف، ويشيع الاحترام المتبادل، حيث يكون التعبير عن الحاجات مقرونًا بالاحترام اللازم، متجنبًا لهجة الإلزام أو التوجيه المباشر، ما يسهم في خلق بيئة مبنية على الثقة وحسن التواصل.

(١) شرح مسلم، النووي، ١/ ٢٥.

(١٠) أن يُنعت عند التكلم معه:

عن عبيد الله بن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ رضي الله عنه: أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَهُ ابْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ[١] فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ، وَكَانَ مِنْ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسٍ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهُ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَتَسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ؟ قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ لِعُيَيْنَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَاللهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَمَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ بِهِ، فَقَالَ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنْ الْجَاهِلِينَ، فَوَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ اللهِ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ[٢].

قال ابن حجر رحمه الله: "قوله: (هل لك وجه عند هذا الأمير؟) هذا من جملة جفاء عيينة إذ كان من حقه أن ينعته بأمير المؤمنين ولكنه لا يعرف منازل الأكابر"[٣].

---

(١) كان عيينة بن حصن استألفه النبي ﷺ على الإسلام فكان من المؤلفة قلوبهم.

(٢) أخرجه البخاري، (٧٢٨٦).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٣/ ٢٨٥.

يقدم هذا النص مثالًا مهمًا عن أدب التعامل مع وليّ الأمر، حيث يظهر كيف أن عدم استخدام النعوت اللائقة في مخاطبة الحاكم قد يؤدي إلى سوء فهم أو غضب، كما حدث بين عيينة بن حصن والخليفة عمر بن الخطاب ﵁. فعندما قال عيينة: "يا ابن الخطاب" بدلًا من استخدام اللقب المناسب "أمير المؤمنين"، عدّ ذلك ابن حجر ﵀ جفاءً وانعدام احترام، إذ ينبغي لمقام الخليفة ووليّ الأمر أن يُخاطَب بما يعكس مكانته ومنزلته.

ويظهر من موقف عمر بن الخطاب ﵁ عندما نبهه ابن أخ عيينة، الحر بن قيس، إلى التسامح وضرورة التعقل بآية ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، أهمية الوقوف عند تعاليم القرآن والتواضع أمام حكم الله. كما أن هذا الموقف يجسد قوة أثر الكلمات وأهمية اختيار الألفاظ التي تحترم مكانة ولي الأمر، مما يسهم في تعزيز هيبته ودعم الاستقرار.

(١١) يُزار من الناس ولا يزور هو الناس:

من الأدب مع ولي الأمر: أن يُزار من الناس ولا يزور هو الناس. يُعتبر هذا من مظاهر توقير ولي الأمر وإظهار هيبته، حيث يُفترض أن تكون هيبته ومقامه العالي سببًا في أن تأتي إليه الرعية لطلب لقاءه أو الاستفادة من حكمته، بدلًا من أن يكون

هو من يذهب إليهم. هذا يساهم في الحفاظ على احترام منصبه ويعزز من مهابته في قلوب الناس.

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاءه يستأذن عليه يوما فأذن له ورأسه في يد جارية له ترجله فنزع رأسه فقال له عمر: دعها ترجلك، فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي جنتك، فقال عمر: إنماالحاجة لي...[1].

وعَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَقِيَ أَبُو بَكْرَةَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَوْمًا نِصْفَ النَّهَارِ وَهُوَ مُتَقَنِّعٌ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَقَالَ: أُرِيدُ حَاجَةً، قَالَ: "إِنَّ الأَمِيرَ يُزَارُ، وَلَا يَزُورُ"[2].

(١٢) الدعاء لولي الأمر:

الدعاء لولي الأمر من أهم مظاهر توقيره وإجلاله، ويعتبر من الواجبات الشرعية التي حثَّ عليها الإسلام. فالدعاء لولي الأمر يُعدُّ من الأعمال الصالحة التي تُقوي استقرار الدولة وتُحسن من حال الأمة، وتُعزز من الهيبة التي يتمتع بها الحاكم في نظر رعيته.

فمن حقوق السلطان على رعيته الدعاء له، فإن صلاحه

(١) الأدب المفرد، البخاري، (١٣٠٢)؛ سنن الدارقطني، ٤/ ٩٣.
(٢) إسناده قوي: أخرجه ابن أبي شيبة، ١١/ ١٠١؛ العلل، أحمد، ٢/ ٤٠٧.

يعود عليهم بالخير.

قال الطرطوشي ﷺ: "فحقيق على كل رعية أن ترغب إلى الله ﷻ في صلاح السلطان...؛ فإن في صلاحه صلاح العباد والبلاد، وفي فساده فساد العباد والبلاد"[(١)].

وبين ﷺ حال من دعا على السلطان بقوله: "فإذا قال المظلوم في دعائه على السلطان: اللهم لا توفقه؛ فقد دعا على نفسه وعلى سائر الرعية؛ لأن من قلة توفيقه ظلمك، ولوكان موفقا ما ظلمك؛ فإذا استجيب دعاؤك فيه زاد ظلمه لك"[(٢)].

وإذا تعود الناس على سماع دعاء العلماء والكبار والحكماء والعقلاء لولي أمرهم، هابوه ووقروه، ورأوا أنَّ له فضلا ومنزلة عَلِيَّة[(٣)].

قال الإمام البربهاري ﷺ: "وإذا رأيت الرَّجُلَ يدعو على السُّلْطَانِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوَى، وإذا رأيتَ الرَّجُلَ يدعو للسلطان بالصَّلاح فاعلم أنه صاحِبُ سُنَّةٍ - إن شاء الله -... فأُمِرْنا أَنْ نَدْعُو لهم بالصلاح، وَلَمْ نُؤْمَرُ أَنْ نَدْعُو عليهم

(١) سراج الملوك، الطرطوشي، ص ١٨٧.
(٢) سراج الملوك، الطرطوشي، ص٤٠٤.
(٣) هيبة ولى الأمر وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ وَضَرُورَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، دغش بن شبيب العجمي، ص٢١٣.

وإِنْظلموا وإن جاروا؛ لأنَّ ظُلْمَهُم وَجَوْرَهُم على أَنْفُسِهِم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين"[١].

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه لابنه عبد الله: "يَا بُنَيَّ، سُلْطَانٌ عَادِلٌ خَيْرٌ مِنْ مَطَرٍ وَابِلٍ، وَأَسَدٌ حَطُومٌ خَيْرٌ مِنْ سُلْطَانٍ ظَلُوم، وَسُلْطَانٌ غَشُومٌ ظَلُومٌ خَيْرٌ مِنْ فِتْنَةٍ تَدُومُ"[٢].

وقال الطحاوي رحمه الله: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة"[٣].

وقال شيخنا العلامة صالح الفوزان -حفظه الله-: "ويدعو لإمام المسلمين؛ لأنَّ صلاح الإمام صلاح للرعية، فيدعو له بالصلاح، يدعو له بالاستقامة، يدعو له بالتوفيق والهداية، فإن هذا من صالح المسلمين"[٤].

(١) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، ص١١٦.
(٢) الكلام لعمرو في: تاريخ دمشق، ابن عساكر، تحقيق: محب الدين العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧م، ٣٦/ ١٨٤؛ إحياء علوم الدين، الغزالي، ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٥، ص١٤٤١.
(٣) العقيدة الطحاوية مع شرحها، ابن أبي العز، ص ٤٢٧.
(٤) الشرح المختصر على متن زاد المستقنع، لشيخنا صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ٢/ ٧٢-٧٣.

(١٣) الصبر على ظلمه:

الصبر على ظلم ولي الأمر يُعد من الأمور التي حث عليها الإسلام، فالصبر يجنّب الأمة الفتن والفرقة، ويصونها من الاضطرابات التي قد تؤدي إلى إضعاف المجتمع لأن عاقبة الصبر النصر والفرج، فعن سويد بن غفلة قال: أخذعمر - ابن الخطاب - بيدي فقال: "يا أبا أمية! إني لا أدري، لعلنا لا نلتقي بعد يومنا هذا، اتق الله ربك إلى يوم تلقاه كأنك تَرَاهُ، واطع الإمام، وإن كان عَبْدًا حَبَشِيًا مجَدَّعًا، إنْ ضَرَبَكَ فاصبر، وإن أَهَانَكَ فاصبر، وإِنْ حَرَمكَ فاصبر، وإن أمرك بِأَمْرٍ يُنْقِصُ دِينَكَ، فَقُلْ: طَاعَةٌ مِنِّي، دَمِي دُونَ دِينِي، ولاتُفَارِقِ الْجَمَاعَةَ"[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "الصبر على جور الأئمة أصل من أصول أهل السنة والجماعة"[٢] وقال: "وأما ما يقع من ظلمهم، وجورهم بتأويل سائغ أو غير سائغ، فلا يجوز أن يزال لما فيه من ظلم وجور، كما هو عادة أكثر النفوس تزيل الشر بما هو شر منه، وتزيل العدوان بما هو أعدى منه، فالخروج عليهم يوجب من الظلم والفساد أكثر من ظلمهم، فيصبر عليه، كما

(١) الفتن، نعيم بن حماد، ١/ ١٥٣، رقم (٣٨٩)؛ السنة، الخلال، ص١١١، رقم٥٤.

(٢) الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، ٢٨/ ١٧٩.

يصبر عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ظلم المأمور والمنهي في مواضع كثيرة كقوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] وقوله ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقوله ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]. فالصبر على السلاطين إذا جاروا من عزائم الدين، ومن وصايا الأئمة الناصحين"(١).

وروى عن محمد بن المنكدر ﵀ قال: لما بويع ليزيد بن معاوية -عفا الله عنا وعنه- ذكر ذلك لابن عمر ﵄ فقال: "إن كَانَ خَيْرًا رضينا، وإن كَانَ شَرًا صَبَرَنَا"(٢).

قال الطرطوشي ﵀: "زوال السلطان أو ضعف شوكته سوق أهل الشر، ومكتسب الأجناد(٣)، ونفاق أهل العيارة والسرقة واللصوص والمناهبة"(٤).

وقال أيضًا: "إذا اختل أمر السلطان دخل الفساد على الجميع، ولو جعل ظلم السلطان حولا في كِفَّة، ثم جُعِلَ

(١) فتاوى ابن تيمية، ٢٨/ ١٧٩.
(٢) الطبقات، ابن سعد، ٤/ ١٨٢؛ الفتن، الداني، ٢/ ٤٠٤، رقم ١٤٥.
(٣) الأنصار والأعوان. ينظر: تاج العروس، محمّد بن محمّد الزبيدي، ٧/ ٥٢٤.
(٤) سراج الملوك، ص ١٨٦.

فسادُ الرَّعيَّة وظلمهم وهرجهم في ساعة إذا اختل أمر السلطان في كفة... كان هرج[١] ساعة أعظم وأرجح من ظلم السلطان حولا"[٢].

فالواجب على الرعية أن تصبر على الحاكم، إن بدا منه ظلم أو حيف أو تجاوز أو تعد، وألا تنبذ السمع والطاعة له، أو تخرج عليه بالسيف والقتال، مع دوام النصح له، لأن في الخروج على الإمام من المفاسد والمنكرات ما لا يحصى وما لا يعد، من أهمها إراقة الدماء، وهدر الأموال، وضعف الأمة، وتسلط أعدائها عليها.

(١٤) النظر في عاقبة الخروج على ولي الأمر:

النظر في عاقبة الخروج على ولي الأمر من أهم القضايا التي يجب مراعاتها، إذ إن الخروج عليه يُفضي في الغالب إلى اضطراب الأمن واستشراء الفوضى وإراقة الدماء، مما يُضعف المجتمع ويفتح الباب أمام التدخلات الخارجية. وقد جاءت الشريعة بالتحذير من هذا المسلك، وحثت على الصبر والاحتساب، واستنفاد كل الوسائل السلمية في الإصلاح والنصح، حمايةً للوحدة وصونًا للاستقرار.

(١) أي: وقعوا في فتنة واختلاط وقتل. ينظر: القاموس المحيط، ١/ ٢٦٨.
(٢) سراج الملوك، الطرطوشي، ص ١٨٦.

ومن أعظم ما يُرهب المسلم من الخروج على الإمام الحق، ما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ رَأَى من أميره شيئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِر، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يُفَارِقُ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِية»[(١)].

والمراد بقوله: "إلا مات ميتة جاهلية" يعني: حالةُ الموتِ كَمَوْتِ أهل الجاهلية على ضلال، وليس له إمام مطاع، لأنهم كانوا لا يَعْرِفُونَ ذلك، وليس المراد أنه يموت كافرًا، بل يموت عاصيًا[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومن استقرأ أحوال الفتن التي تجري بين المسلمين، تبيَّنَ لَهُ أَنَّهُ مَا دَخَلَ فِيها أَحَدٌ فَحَمِدَ عاقبة دخوله؛ لما يحصل له من الضرر في دينه ودنياه. ولهذا كانت من باب المنهي عنه، والإمساك عنها من المأمور به"[(٣)].

(١٥) أداء العبادات مع وُلاة الأمر من باب توقيرهم:

أداء العبادات مع ولاة الأمر يعدّ من مظاهر توقيرهم وإظهار الاحترام لمنزلتهم. فمن خلال الصلاة مع الحكام، وإظهار الالتزام

(١) رواه البخاري، ٧/ ١٣، رقم ٧٠٥٣ ـ ٧٠٥٤، (٧١٤٣)؛ مسلم، ٣/ ١٤٧٧، رقم ١٨٤٩.
(٢) فتح الباري، الحافظ، ٩/ ١٣؛ ينظر: شرح مسلم، النووي، ١٢/ ٤٨٠ـ٤٨١.
(٣) منهاج السنة، ابن تيمية، ٤/ ٤١٠.

الجماعي بالطاعات، يجتمع الناس حول قادتهم في صورة من صور التلاحم والتآزر، مما يعزز مكانة ولاة الأمر ويعكس وحدة الصف. فالوقوف معهم في أوقات العبادات يدل على الثقة بهم، ويُشعر المجتمع بالأمان والاستقرار. كما أن هذا السلوك يغرس في النفوس الاحترام والتقدير لولاة الأمر، ويعزز القيم الدينية والمجتمعية التي تدعو للتكاتف والسمع والطاعة في المعروف.

قال أبو عثمان الصابوني ﷺ: "ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام برًا كان أو فاجرًا، ويرون الدعاء لهم بالتوفيق والصلاح، ولا يرون الخروج عليهم وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف"(١).

وقال أبو بكر الإسماعيلي ﷺ: "ويرون الصلاة والجمعة وغيرها خلف كل إمام مسلم، برا كان أو فاجرًا، فإن الله ﷻ فرض الجمعة وأمر بإتيانها فرضًا مطلقًا، مع علمه تعالى بأن القائمين يكون منهم الفاجر والفاسق، ولم يستثن وقتًا دون وقت، ولا أمرًا بالنداء للجمعة دون أمره، ويرون جهاد الكفار معهم، وإن كانوا جورة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والعطف إلى العدل، ولا يرون الخروج بالسيف عليهم، ولا القتال في الفتنة"(٢).

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، الصابوني، ص١٠١.
(٢) اعتقاد أئمة الحديث، الإسماعيلي، ص٧٥-٧٦.

قال أحمد بن حنبل رحمه الله: "والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر، ومن ولي الخلافة فاجتمع الناس عليه ورضوا به. ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، والغزو ماضي مع الأمراء إلى يوم القيامة، البر والفاجر لا يترك،... وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولي جائزة: تامة ركعتين من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار مخالف للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيء. ومن خرج على إمام المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو الغلبة، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسولالله، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية. ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق"(١).

(١٦) توقيرولي الأمر بالنصرة والتناصر:

التوقير بالنصرة والتناصر يعكس مبدأ مهمًّا في الإسلام، وهو دعم الرعية لولي أمرها ودعمه بما يعزز قيم الدين ويحفظ وحدة الأمة. فمهما كانت التجاوزات الشخصية للحاكم، طالما لا تمس أهلية شرعيته، فإن نصرة الرعية له تعتبر نصرة للدين

(١) شرح السنة، اللالكائي، ٢/ ١٨٠-١٨١.

ذاته، إذ تسانده في إقامة العدل ونشر الشريعة، وهي غاية عظيمة تستوجب التعاون والتلاحم بين الجميع.

فالواجب على الرعية نصرة الإمام الحاكم بما أنزل الله تعالى، ولو كانت له في خاصة نفسه تجاوزات ومخالفات، لكنها لا تصل إلى حد القدح في شرعية ولايته، فنصره -والحالة هذه- نصر للدين، وإعانته إعانة على نشر الدين، والتعاون معه تعاون على البر والتقوى قال ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)(١) وقال ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)(٢).

ويذكر القشقلندي رحمه الله هذا الواجب الثاني على الرعية نحو أئمتها فيقول: (الثاني: المعاضدة والمناصرة في أمور الدين، وجهاد العدو قال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] ولا أعلى من معاونة الإمام على إقامة الدين ونصرته)(٣).

(١) رواه مسلم باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ح (٢٥٨٥) ص ١٩٩٩.
(٢) رواه مسلم باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ح (٢٥٨٦) ص ١٩٩٩؛ انظر مسند الإمام أحمد ٤/ ٢٧٠؛ انظر مسند أبي الجعد، علي بن أبي الجعد الجوهري البغدادي، تحقيق عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ١٩٩٠م، ح (١٠٥)، ١/ ١٠٢.
(٣) مآثر الأنافة، القشقلندي، ١/ ٦٣.

فعلى الرعية الصالحة أن تنصر ولاة أمرها، ولا ترضى بتفريق الناس من حولهم فقد نهى النبي ﷺ عن شق عصا طاعتهم، وأمر الرعية بالانتصار لمن رام ذلك فقال ﷺ: (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد منكم، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه)[1].

والمناصرة عامة في مصالح الدنيا والدِّين، وفيما فيه حفظ هيبة الإسلام والمسلمين.



(توقير وليّ الأمر ومناصرته، وتعظيم شأنه في البلاد، لا يتعارض مع مناصحته بالطريقة المشروعة، والمنهج السلفيّ الرصين، وفي ذلك كتبت الكتب لبيان منهج السلف الصالح في مناصحة ذي السلطان).

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة ٣٣، باب حكم من فرق أمر المسلمين، ح (١٨٥٢)، ٣/ ١٤٨٠.



الآثار المترتبة على توقير ولي الأمر

١. صلاح الدنيا والآخرة

٢. قبول ولاة الأمر للنصح وعدم التمادي في الباطل

٣. عيش البلاد في أمن وسلام

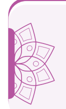
٤. حَقْن دماء ولاة الأمور

٥. زيادة هيبة ولي الأمر في قلوب الرعية

٦. اجتماع الكلمة على الأئمة وولاة الأمور

٧. إرهاب أعداء الله بسبب توحيد صفوف المسلمين واجتماع كلمتهم على أئمتهم





الآثـار المترتبة على توقير ولي الأمـر

(١) صلاح الدنيا والآخرة:

تـوقير ولـي الأمـر لـه آثـار إيجابيـة تمتـد إلـى صـلاح الـدنيا والآخرة، حيث يسهم هذا التوقير في تعزيز الاستقرار والأمن، مما يتيح للناس فرصًا أكبر للعيش بأمان وازدهار، وييسر قيام المجتمع بوظائفه الأساسية دون فوضى أو صراعات.

من جانـب آخر، إظهـار التقـدير لـولي الأمـر بأسـلوب حكـيم ومهـذب يجعلـه أكثـر تقـبلًا للنصـح والمشـورة، ممـا يدفعـه إلـى تحسين أدائه وتجنب التمادي في الأخطاء أو الظلم.

قال سهل بن عبد الله التستري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء؛ فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم"[(١)].

وقـد قـال ابـن تيميـة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عـن هـذا المقصـد: "المقصـود

(١) تفسير القرطبي، ٥/ ٢٦٠.

والواجب بالولايات إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسرانا مبينا ولم ينفعهم ما نعموا به فيالدنيا، وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم"[١].

وهكذا فإن توقير ولي الأمر واحترامه يؤدي إلى صلاح الدين والدنيا، كما أوضح العلماء. فالتقدير الواجب للحاكم والعلماء يسهم في تحقيق استقرار المجتمع ويعزز من فعالية السلطة في تطبيق أحكام الشريعة وتنظيم شؤون الناس.

وأكد ابن تيمية على أن غاية الولايات تكمن في إصلاح دين الناس، لأن نجاح الإنسان وفلاحه يتوقف على استقامة دينه، إلى جانب إصلاح شؤون الدنيا التي لا يستقيم أمر الدين إلا بها.

(٢) قبول ولاة الأمر للنصح وعدم التمادي في الباطل:

عندما يشعر ولي الأمر بالدعم والاحترام من شعبه، فإنه يكون أكثر استعدادًا للعدول عن القرارات الخاطئة والتوجيهات غير السليمة، مما يعزز روح العدل والإصلاح. وعلى مستوى الآخرة، فإن توقير ولي الأمر والحرص على نصيحته بالرفق يُعدّ من القربات التي ترضي الله تعالى، لما فيه من حفاظ على وحدة الأمة ومنع للفتنة والفساد، مما يحقق الخير والمصلحة العامة

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢٨/ ٢٦٢.

للأفراد والمجتمع.

عَنْ أَبِي شُرَيْحِ الْعَدَوِي رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ: ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ أُحَدِّثْكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِلْغَدِ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ فَسَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ: إِنَّهُ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ..."(١).

قال ابن دقيق العيد رحمه الله: "قوله: "ائذن لي أيها الأمير في أن أحدثك فيه حسن الأدب في المخاطبة للأكابر -لاسيما الملوك- لاسيما فيما يخالف مقصودهم؛ لأن ذلك يكون أدعى للقبول لاسيما في حق من يعرف منه ارتكاب غرضه فإن الغلطة عليه قد تكون سببًا لإثارة نفسه ومعاندة من يخاطبه"(٢).

فتوقير ولي الأمر واحترامه يسهم في تقبله للنصح، ويمنعه من التمادي في الباطل، وذلك من خلال اتباع الأسلوب الحكيم والأدب في تقديم المشورة. يتجلى هذا المعنى في حديث أبي شريح العدوي حينما خاطب الأمير عمرو بن سعيد بقول مهذب، مستأذنًا في نصحه ونقل قول الرسول صلى الله عليه وسلم.

(١) أخرجه البخاري، (١٨٣٢)؛ مسلم، (١٣٥٤).
(٢) إحكام الأحكام، ١/ ٣٠٧.

(٣) عيش البلاد في أمن وسلام:

إن توقير ولي الأمر واحترام مقامه يسهمان في تعزيز أمن البلاد واستقرارها، مما يهيئ المناخ للعيش بسلام وازدهار. حين تتكاتف جهود الشعب حول قيادته، يُثمر ذلك استقرارًا سياسيًّا واجتماعيًّا، ويعزز من وحدة الصف ويقوّي الجبهة الداخلية. هذا الانسجام بين الحاكم والمحكومين يردع الأعداء ويقلل من فرص التوترات الداخلية، مما يمكّن المجتمع من التفرغ للبناء والتنمية ويجعل من البلاد مكانًا آمنًا للجميع.

لأنه ينعدم الاستقرار والأمن مع ذهاب هيبة السلاطين أو مع فقدهم ولا يقضى على الذين يرهبون المسلمين ويتوعدونهم بالقتل والتفجير وسلب الأموال وانتهاك الأعراض ونحو ذلك إلا بإمام قوي معزز مطاع[١].

فإن احترام مقام الحاكم يُكسبه الهيبة اللازمة لأداء دوره بفعالية، خاصة في مواجهة من يسعون لإثارة الفوضى أو تهديد حياة الناس وأمنهم. وبدون وجود قائد قوي مطاع، يصبح من الصعب بسط الأمن والاستقرار ومكافحة الفئات التي تسعى لبث الفوضى.

(١) هيبة ولى الأمر وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ وَضَرُورَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، دغش بن شبيب العجمي، ص١٠٩.

(٤) حَقْن دماء ولاة الأمور:

وواقع المسلمين في كل زمان ومكان شاهد على هذا الأثر، فإذا كان مِن الرعية مَن يُؤلّب على السلطان ويشهر به وينشر معايبه ويخرج عليه من الخوارج وأشباههم ممن يعجبون بباطلهم وجدت الفوضى وهتك الأعراض وسفك الدماء واغتيالات القيادات والوزراء وقد يصل الأمر إلى قتل السلطانوزمان عثمان وعلي شاهد على ذلك.

وإذا كانت الرعية توقر حُكّامها وتحترمهم وتصبر على ما يصدر منهم من جور وتبذل لهم النصيحة فيما بين الناصح والسلطان بلطف ورفق مع رَدْع أهل البدع والأهواء عاش الناس في أمن وسلام وتحقق حقن دماء المسلمين من حاكم

من خلال ما سبق نجد أن واقع المسلمين في كل زمان ومكان يثبت أن توقير السلطان له دور كبير في حقن الدماء وتجنب الفوضى. إذا كان بعض الرعية يثيرون الفتن ويؤلبون على الحكام وينشرون معايبهم، فإن هذا يؤدي إلى تفشي الفوضى وسفك الدماء، كما شاهدنا في تاريخ الأمة الإسلامية، خاصة في فترات الفتن الكبرى مثل فترتي الخوارج واغتيال

(١) هيبة ولى الأمر وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ وَضَرُورَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، دغش بن شبيب العجمي، ص١٠٩.

الخلفاء مثل عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. الفتن التي تثار ضد الحكام غالبًا ما تؤدي إلى اغتيالات القيادات، وهدم الاستقرار الوطني.

وعندما تكون الرعية تحترم حكامها وتوقرهم، وتصبر على جورهم وتقدم لهم النصيحة بلطف، فإن هذا يحقق أمن البلاد ويحول دون انزلاق الوطن إلى الفتن. وإذا كان الحكام يسعون لتطبيق الشريعة ويعتمدون على النصيحة الصادقة، فإن ذلك يساهم في كبت أهل البدع والأهواء، مما يحفظ دماء المسلمين جميعًا، سواء الحكام أو المحكومين، ويعيش الناس في سلام وأمان.

(٥) زيادة هيبة ولي الأمر في قلوب الرعية:

من الآثار البالغة لتوقير ولي الأمر أن هيبته تزداد في قلوب الرعية، مما يعزز استقرار الحكم ويدعم قوة الدولة. عندما يظهر الرعية احترامهم وتقديرهم لسلطانهم، سواء من خلال الطاعة، أو التعامل معه بلطف وتوقير، فإن ذلك ينعكس بشكل إيجابي على مكانته وقوته في قلوب الناس. هيبة السلطان ليست محصورة فقط في قوته العسكرية أو سلطاته السياسية، بل تشمل احترام الناس له وتقدير قراراته، مما يسهم في تعزيز سيطرته وفرض النظام، لمزيد ضبط لمصالح الناس الدينية والدنيوية.

زيادة الهيبة تعني أيضًا أن الرعية لا تتجرأ على الاعتراض أو الخروج على الحاكم بشكل علني، ويشعر الجميع بمسؤوليتهم في احترام القوانين والنظام الذي يفرضه السلطان. الهيبة التي تنبع من توقير السلطان تقوي وحدة الوطن، وتمنع الانقسامات الداخلية، حيث يلتف الناس حول الحاكم ويثقون في قيادته.

عَنْ عُبَيْدِ بْنِ حُنَيْنٍ: أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما يُحَدِّثُ أَنَّهُ قَالَ: مَكَثْتُ سَنَةً أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - وكان أميرًا للمؤمنين - عَنْ آيَةٍ فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْأَلَهُ هَيْبَةً لَهُ...(١).

قال النووي رحمه الله: "وفيه توقير الكبار وخدمتهم وهيبتهم كما فعل ابن عباس مع عمر"(٢).

(٦) اجتماع الكلمة على الأئمة وولاة الأمور:

ومَن تأمَّل في خلافة أبي بكر وعمر وصدر خلافة عثمان رضي الله عنهم يجد توقير الرعية لأئمتها وقمع شيطان الخوارج المتطاولين على السلاطين مما ترتب عليه اجتماع كلمة المسلمين على أئمتهم(٣).

(١) أخرجه البخاري، (٤٩١٣)؛ مسلم، (١٤٧٩).
(٢) شرح مسلم، (١٠/ ٩٤).
(٣) هيبة ولى الأمر وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ وَضَرُورَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، دغش بن شبيب العجمي، ص١١٠.

فاجتماع الكلمة على الأئمة وتوقير الرعية لأئمتها كان من الأسباب الرئيسية في قوة الدولة واستقرارها في عهد الخلفاء الراشدين ﵃. فعندما تولى أبو بكر الصديق ﵁ الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ، كانت الرعية موحدة حوله، مما مكّنهم من الحفاظ على وحدة الأمة ومواجهة التحديات الداخلية والخارجية. وعلى الرغم من بعض المحاولات من المتطاولين على السلطة، مثل الخوارج الذين اعترضوا على بعض السياسات، فإن القيادة الحكيمة من الخليفة عمر بن الخطاب ﵁ كانت قد ساهمت في قمع هذه الفتن وضمان استقرار الدولة.

وفي عهد عثمان بن عفان ﵁، ورغم محاولات البعض زرع الفتن والتحريض ضد حكامهم، استمر الإصرار على توقير الأئمة واتباعهم، مما ساهم في الحفاظ على وحدة الكلمة في أوقات صعبة. هذه الوحدة حول الأئمة كانت بمثابة حصن يحمي الأمة من الفرقة ويساهم في تحقيق العدالة وحسن الإدارة في الدولة.

(٧) إرهاب أعداء الله بسبب توحيد صفوف المسلمين واجتماع كلمتهم على أئمتهم:

لقد فرض الشارع الحكيم على كل مؤمن بالله واليوم الآخر، أن يلزم الجماعة، فينتظم في سلكها ويستظل بظلها، ويركن إلى

أهلها، فما أحبه لنفسه أحبه لهم، وما كره لها كرهه لهم يسوءه ما يسوءهم ويسره ما يسرهم سلمًا لأحبائهم، حربًا على أعدائهم، هم جسد واحد، وهم قطعة منه.

وكما أن الشارع أمر بلزوم الجماعة نهى كل مؤمن بالله واليوم الآخر عن مفارقتها وشق عصاها ومخالفة كلمتها.

وما هذا الاهتمام من الشارع بأمر الجماعة: إلا لبالغ أهميتها وكبير قدرها، وعظم نفعها، إذ هي رابطة المسلمين، قوتهم من قوتها، وضعفهم من ضعفها، فيها يعبد المسلم ربه أمنا، ويدعو إليه تعالى مؤيدا، المستضعف في كنفها قوي، والمظلوم في ظلها منصور، والعاجز في محيطها معان[(١)]، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ورحم الله ابن المبارك حيث قال:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا ... منه بعروته الوثقى لمن دانا
كم يرفع الله بالسلطان مظلمة ... في ديننا رحمة منه ودنيانا
لولا الخلافة لم تؤمن لنا سبل ... وكان أضعفنا نهبا لأقوانا[(٢)]

(١) معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، عبد السلام بن برجس، ص ٦٣.
(٢) التمهيد، ابن عبد البر، تحقيق مصطفى أحمد العلوي - محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، ١٣٧٨هـ، ٢/ ٢٧٥.

وهكذا تتضح أهمية توحيد صفوف المسلمين اجتماعيًا وعقائديًا في مواجهة أعداء الله، حيث إن الشارع الحكيم قد أكد على لزوم الجماعة كركيزة أساسية لوحدة الأمة وقوتها. إذ أن الجماعة تمثل الدرع الحامي للمؤمنين، الذي يوفر لهم الأمن والاستقرار ويعزز من قوتهم في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية. في هذا السياق، يكون الالتزام بالجماعة طاعة لله ورسوله، وتحقيقًا لمفهوم الوحدة الذي يعزز قوة الوطن ويفوت الفرص على أعدائها.

والحديث عن الجماعة يعكس طبيعة العلاقة المتينة بين المسلمين كجسد واحد، حيث يتأثر كل فرد بما يعانيه الآخر، وتكون سعادتهم وأحزانهم مشتركة. وعندما يلتزم المسلمون في أوطانهم بهذا المفهوم، فإنهم يصبحون قوة لا يستهان بها في مواجهة أعدائهم.

كما أن التزام المسلمين بالجماعة في الوطن الواحد، وعدم شق عصاها، هو أمر يشير إلى ضرورة الالتزام بالحق والطاعة للقيادة الشرعية، التي تمثل إرادة الوطن ووحدته. الوحدة لا تعني فقط اجتناب التفرقة في الفكر والمواقف، بل تشمل أيضا التعاون والتكامل في العمل من أجل مصلحة الوطن.

ومن الأثر البالغ لتوقير السلطان واجتماع كلمة المسلمين

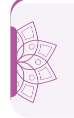
حول أئمتهم هو إرهاب أعداء الله وتقوية الجبهة الداخلية. عندما يكون المسلمون متوحدين في وطنهم تحت قيادة إمام عادل، فإنهم يشكلون قوة عظيمة تثير الرعب في قلوب أعدائهم، الذين يعلمون أن أي فتنة أو خلاف بين المسلمين سيضعفهم ويتيح لهم فرصة للانقضاض.

توحيد الصفوف على الإمام هو مظهر من مظاهر القوة السياسية والشرعية، حيث أن المسلمين يدركون أن قوتهم تأتي من التماسك والاتحاد، وأن هذا التلاحم يرسل رسالة قوية لأعدائهم بأن هذه الأوطان لا تقبل التفريق أو الفرقة. وعندما يحترم الرعية سلطانهم ويظهرون هيبته، يصبح هذا عاملًا حاسمًا في تعزيز قوتهم في مواجهة التحديات الخارجية.



(كان الأكابر من أصحاب رسول الله ينهون عن سبِّ الأمراء).

[أنس بن مالك رضي الله عنه].



عقوبة إهانة ولي الأمر في الشريعة الإسلامية

١.	إذلال ولي الأمر: ذنبٌ عظيم لا تُقبَل التوبة فيه إلا بالإصلاح	٢.	عقوبة إهانة ولي الأمر: الذلة أمام اللّٰه يوم القيامة
٣.	عقوبة إهانة ولي الأمر: فقدان الوزن يوم القيامة	٤.	الجزاء من جنس العمل: مَن أذلَّ وليَّ الأمر أذلَّه اللّٰهُ يوم القيامة
٥.	الاستخفاف بولي الأمر سببٌ في ذهاب دنيا المستخف		





عقوبة إهانة ولي الأمر في الشريعة الإسلامية

(١) إذلال ولي الأمـر: ذنـبٌ عظـيم لا تُقبَـل التوبـة فيـه إلا بالإصلاح:

إذلال ولـي الأمـر يُعَـد مـن الـذنوب العظيمـة فـي الشـريعة الإسـلامية، حيـث يـرتبط بفعـل مخـالف لشـرع الله وأوامـر رسـوله ﷺ. فالسلطان، بوصفه ولـي أمـر المسلمين، يُمثِّل رمزًا للعدالة والأمان، ولا يجوز انتقاص هيبته أو إهانته بأي شكل من الأشكال. مـن أذل السلطان فقـد أفسـد النظـام العـام وأدى إلـى الفتنة والفرقة في الـوطن. ومـن هنـا، فإن توبته لا تكـون مقبولـة إلا إذا قام بإصلاح ما أفسده من خلال الاعتذار علنًا أو تصحيح الأضرار التي أحدثها فعله.

قال ﷺ: "سَيَكُونُ بَعْدِي سُلْطَانٌ فَأَعِزُوهُ، مَنِ الْتَمَسَ ذُلَّهُ ثَغَرَ ثُغْرَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ تَوْبَةٌ حَتَّى يُعِيدَهَا كَمَا كَانَتْ"[١].

(١) إسناده صحيح: السنة، ابن أبي عاصم، ص١٠٧٩.

(٢) عقوبة إهانة ولي الأمر: الذلة أمام الله يوم القيامة:

من أعظم العقوبات التي يواجهها من أهان ولي الأمر: أنه يلقى اللهَ يوم القيامة ذليلًا، لا وجه له عند الله تعالى. فإهانة ولي الأمر وتحقير مكانته تُعَد انتهاكًا لحقوق الله ورسوله ﷺ، وتخالف ما أمر به الشرع من احترام للسلطان، الذي هو حافظ للعدل والنظام في الوطن.

عَنْ ربعي بْنِ حِرَاشٍ رضي الله عنه قَالَ: انْطَلَقْتُ إِلَى حُذَيْفَةَ بِالْمَدَائِنِ لَيَالِيَ سَارَ النَّاسُ إِلَى عُثْمَانَ فَقَالَ: يَا رِبْعِيُّ مَا فَعَلَ قَوْمُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: عَنْ أَيِّ بَالِهِمْ تَسْأَلُ؟ قَالَ: مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَسَمَّيْتُ رِجَالًا فِيمَنْ خَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَاسْتَذَلَّ الْإِمَارَةَ لَقِيَ اللهَ، وَلَا وَجْهَ لَهُ عِنْدَهُ"(١).

(٣) عقوبة إهانة ولي الأمر: فقدان الوزن يوم القيامة:

من عقوبات إهانة ولي الأمر: أن الفاعل لا يكون له وزن يوم القيامة، حيث يُحرم من جزاء الله وعفوه بسبب ما اقترفه من إهانة لولي الأمر الذي يمثل العدالة والأمن في الأوطان.

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد، ٥/ ٣٨٧؛ تاريخ المدينة، ابن شبة، ٢/ ٢٠٧.

إنَّ إهانة وليّ الأمر تُعَد من الأفعال التي تجر إلى الفتنة وتؤدي إلى تفكيك وحدة الأوطان، مما يجعل صاحبها في منزلة لا تُذكر يوم الحساب. فتلك الإهانة لا تضر فقط بولي الأمر بل تُؤثِّر في تماسك المجتمع، ومن ثَمَّ يُعاقب الفاعل بحرمانه من فضل الله ورحمته، فلا يكون له من جزاء سوى الذلة والخذلان.

عن زياد بن علاقة قال: أراد الناس أن يخرجوا إلى عثمان حين أنكروه فجاءت بنو عبس إلى حذيفة فقال: لا تفعلوا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّ أَوَّلَ عِصَابَةٍ تَسِيرُ إِلَى سُلْطَانٍ لِتُذِلَّهُ لَا يَكُونُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْن"(١).

(٤) الجزاء من جنس العمل: مَن أذلَّ وليَّ الأمر أذلَّه الله يوم القيامة:

الجزاء من جنس العمل، ومَن أذلَّ ولي الأمر في الدنيا فقد أذلَّه اللهُ يوم القيامة، وذلك عقابًا له على ما اقترفه من إهانة لولي الأمر الذي هو رمز للعدالة والنظام.

إن إهانة السلطان وولي الأمر لا تؤدي فقط إلى زعزعة الاستقرار في المجتمع، بل تُعتبر أيضًا تعديًا على مقام الحاكم الذي يحكم بما أنزل الله. فمَن يُهِين السلطان ويستخف بمكانته

(١) تاريخ المدينة، ابن شبة، ٢/٢٠٧ بإسناد رجاله ثقات.

يلقى جزاءه من الله ﷻ في الآخرة بالذلة والخذلان، فيكون في وضع مهين يوم القيامة، فيعكس هذا جزاء فعلته في الدنيا.

عَنْ قَطْبَةَ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه، قَالَ: "أَلَا لَا يَمْشِيَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ شِبْرًا إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيُذِلَّهُ، فَلَا وَاللهِ لَا يَزَالُ قَوْمٌ أَذَلُّوا السُّلْطَانَ أَذِلَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[(١)].

قال الملا علي القاري رحمه الله: "مَن أهان سلطان الله في الأرض؛ أي: أذل حاكمًا بأن آذاه أو عصاه أهانه الله"[(٢)].

(٥) الاستخفاف بولي الأمر سببٌ في ذهاب دنيا المستخف:

في الشريعة الإسلامية، يُعَد الاستخفاف بولي الأمر أمرًا مُحرَّمًا ومخالفًا لأمر النبي ﷺ، حيث أكد على ضرورة احترام ولي الأمر وطاعته فيما لا يخالف الشرع.

إن السلطان أو ولي الأمر هو الذي يقيم العدل ويحقق الأمن والاستقرار في المجتمع، وله مقام رفيع يقتضي التوقير والاحترام من الجميع. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة، ١٥/ ١٢٦ بإسناد صحيح.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان الهروي القاري، ١١/ ٣٣١.

وقال الإمام ابن المبارك رحمه الله: "مَن استخفَّ بالعُلماءِ، ذَهَبَت آخِرَتُهُ، ومَن استخفَّ بالأمراءِ، ذَهَبَت دُنياهُ، ومن استخف بالأخوان، ذهبت مروءته"[1].



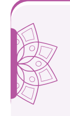
(أول خروج الإنسان من السُّنة طعنُه في ولاة أمره).

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٧/ ٢٥١.



الآثار المترتبة على إهانة ولي الأمر والانتقاص منه والتطاول عليه

١.	مخالفة أمر الرسول ﷺ	٢.	العيش في ذُلٍّ وهوان
٣.	لا يكون له وزن يوم القيامة	٤.	من أسباب دخول النار
٥.	إفساد الدنيا والآخرة	٦.	موافقة أهل البدع والأهواء
٧.	شحن وإيغار صدور الرعية على ولاة أمرهم	٨.	قتل السلاطين والأمراء والوزراء واغتيال قيادات الجيوش الإسلامية وأجهزة الأمن
٩.	تعريض المتطاول وربما أهله للقتل والسجن والتعذيب	١٠.	مدعاة إلى زيادة الطغيان والشر
١١.	نقص الخير وزيادة الفقر وارتفاع الأسعار	١٢.	نشوب الحروب بين المسلمين بعضهم البعض
١٣.	غزو الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم لبلاد الإسلام	١٤.	الوقوع في الغيبة المحرمة إذا كانت العيوب في ولي الأمر وإن لم تكن فيه فيكون الذنب أعظم للوقوع في الكذب والبهتان
١٥.	معاندة ولي الأمر وعدم قبوله للنصيحة	١٦.	نشوب الفتن وانتشار الفوضى
١٧.	تعطيل الدعوة إلى الله ونشر العلم		



الآثار المترتبة على إهانة ولي الأمر والانتقاص منه والتطاول عليه

(١) مخالفة أمر الرسول ﷺ:

إهانة ولي الأمر والانتقاص منه والتطاول عليه يحمل آثارًا وخيمة تعود بالضرر على الفرد والمجتمع، وأول تلك الآثار هو مخالفة أمر الرسول ﷺ؛ فقد جاءت الشريعة الإسلامية بوجوب احترام ولاة الأمر وتقديرهم، وحث الرسول ﷺ على الطاعة لأولي الأمر فيما لا يخالف شرع الله، وذلك لما في ذلك من حماية للنظام واستقرار للأوطان.

لأنَّ إهانة وليّ الأمر تنافي أمره ﷺ باحترام السلطان وتوقيره كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا: "سَيَكُونُ بَعْدِي سُلْطَانٌ فَأَعِزُوهُ..." حديث صحيح.

(٢) العيش في ذُلٍّ وهوان:

مَن وقع في هذه المعصية يعيش في الذل والهوان في الدنيا ويلقى الله ذليلًا يوم القيامة:

لحديث حذيفة ﵁ مرفوعًا: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَاسْتَذَلَّ الْإِمَارَةَ لَقِيَ الله، وَلَا وَجْهَ لَهُ عِنْدَهُ» إسناده حسن.

فإهانة ولي الأمر والانتقاص منه والتطاول عليه تؤدي إلى العيش في ذلٍّ وهوان؛ فعندما يُفقد الاحترام والتقدير للحاكم، يضعف النظام وتتعرض هيبة الدولة للانكسار، مما يفتح الباب أمام الفوضى والاضطرابات. هذا الأمر يُضعف قوة المجتمع ويجعله عرضة للتنازعات الداخلية، بل قد يؤدي إلى استغلال الأعداء لهذه الفوضى لإضعاف الدولة وفرض سيطرتهم.

والعيش تحت ظل حاكمٍ يتمتع بالاحترام والهيبة يضمن للشعوب نوعًا من الأمن والاستقرار، مما يُسهم في توفير حياة كريمة خالية من الذل والهوان. بينما إذا ساد التطاول وإهانة الحاكم، فإن النتيجة تكون العيش في حالة من الانقسام والاضطراب، مما يُسهم في إفقاد المجتمع قوته ووحدته ويجعله فريسةً سهلة للذل والهوان من قِبَل القوى الخارجية أو حتى من بعض أفراد المجتمع أنفسهم.

(٣) لا يكون له وزن يوم القيامة:

أن يكون للشخص المسيء مكانةٌ منخفضةٌ يوم القيامة، فلا يحظى بأي وزنٍ أو اعتبار في ميزان الأعمال. فالإسلام يحث

على احترام ولاة الأمر، وجعل من واجب المؤمنين توقيرهم والنصح لهم بالطرق الشرعية دون أن يُخلّ ذلك باحترامهم أو ينقص من مكانتهم.

وقد ورد في الأحاديث النبوية الشريفة ما يشير إلى أن عدم التوقير والانتقاص من الناس يعد سببًا في خسارة الأعمال يوم القيامة.

عن حذيفة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ أَوَّلَ عِصَابَةٍ تَسِيرُ إِلَى سُلْطَانٍ لِتُذِلَّهُ لَا يَكُونُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنٌ"(١).

من هذا المنطلق، فإن من يعمد إلى إهانة الحاكم والتقليل من شأنه يُعرض نفسه لفقدان مكانته ووزنه في الآخرة، حيث يتعامل الله مع أعمال الناس بحسب نياتهم وأفعالهم، ويكافئ من يُحسن التعامل مع ولاة الأمر بالحكمة والتوجيه البناء ويعاقب من يسعى إلى التشهير والتطاول، ولا ننسى أن العمل يوزن والعامل عند الله.

(٤) من أسباب دخول النار:

أن ذلك قد يكون من أسباب دخول النار. فقد أمرنا الإسلام باحترام ولاة الأمر، والتعامل معهم بالحكمة والرفق، وفي تجاوز

(١) تاريخ المدينة، ابن شبة، ٢/٢٠٧ بإسناد رجاله ثقات.

حدود الأدب معهم عصيان لأوامر الشرع وتجاوز لأخلاقيات الإسلام في التعامل.

لأنَّ إهانة ولي الأمر مخالفة لأمر الرسول، وقد قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

لأنَّ التطاول على ولاة الأمور وإهانتهم قد يؤدي إلى زعزعة الأمن والاستقرار، وإثارة الفتن التي تُغرق المجتمع في الفوضى وتفتح أبواب الشر والفساد. وهذه الأعمال التي تضر بالدولة والمجتمع قد تؤدي بصاحبها إلى عواقب وخيمة في الدنيا والآخرة، وتعرّضه للعقاب الشديد، ومنه دخول النار، إذا اقترنت بأفعال تؤدي إلى هدم مصالح الناس وإثارة النزاعات.

(٥) إفساد الدنيا والآخرة:

إهانة ولي الأمر والتطاول عليه تُعد من الأمور التي تفسد الدنيا والآخرة؛ إذ إن لذلك آثارًا سلبية على الفرد والمجتمع وعلى استقرار الوطن كله.

من جانب الدنيا، يؤدي الانتقاص من ولي الأمر إلى زعزعة الأمن وإضعاف هيبة الدولة، مما يفتح المجال للفوضى والتفرق وانتشار الفتن. هذه الأوضاع تُفقد الناس الشعور بالأمان وتعيق

التنمية والبناء، وقد تؤدي إلى تدهور الأحوال الاقتصادية والاجتماعية وانتشار الفقر والبطالة.

أما من جانب الآخرة، فإن التطاول على ولاة الأمر يُعتبر مخالفة لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ، الذي أمرنا باحترامهم والالتزام بطاعتهم في غير معصية الله، وحذّر من شق عصا الطاعة. وهذا الفعل يجرّ صاحبه إلى إثم عظيم قد يترتب عليه عقاب شديد يوم القيامة؛ إذ يعرض نفسه لغضب الله وعقابه، فينال بذلك ضررًا في الآخرة كما ناله في الدنيا.

قال مرة بن الدباب: "مررت بعقبة بن عبد الغافر وهو صريع في الخندق جريح حين انهزم الناس فناداني: يا أبا المعذل، يا أبا المعذل، فالتفت إليه فقال: ذهبت الدنيا والآخرة، وذلك في يوم ابن الأشعث"(١).

(٦) موافقة أهل البدع والأهواء:

التطاول على ولي الأمر وإهانته يُعدّ من مظاهر موافقة أهل البدع والأهواء الذين عُرفوا عبر التاريخ بنشر الفتن والتحريض على ولاة الأمر، وإثارة الشكوك والبلبلة بين الناس. فدائمًا ما يسعى أهل البدع إلى زعزعة النظام واستغلال كل فرصة لإثارة

(١) الطبقات، ابن سعد، ٧/ ٢٢٥ وغيره بإسناد ثابت.

الفوضى والطعن في الحكام، وهو ما يعارض التعاليم الإسلامية التي تحث على الالتزام بالجماعة وطاعة ولاة الأمر في غير معصية الله، حفاظًا على وحدة الأوطان واستقرارها.

(٧) شحن وإيغار صدور الرعية على ولاة أمرهم:

إهانة ولي الأمر والتطاول عليه يؤدي إلى شحن صدور الرعية وإيغار قلوبهم ضد ولاة أمرهم، وهذا الأثر يترتب عليه ذهاب هيبة السلطان وتجريء الرعية عليه وبغضهم له وعصيانهم له في المعروف وسهولة التمرد عليه والخروج عليه[(١)].

مما يضعف الوحدة الوطنية ويزيد من مشاعر التوتر والانقسام داخل المجتمع. عندما يتطاول الناس على الحاكم وينتقصون من قدره بشكل مستمر، تنتشر حالة من الحقد والضغينة في نفوس الناس تجاه قيادتهم، ويُفتح الباب للتشكيك في النظام وإضعاف الثقة بولاة الأمر.

(٨) قتل السلاطين والأمراء والوزراء واغتيال قيادات الجيوش الإسلامية وأجهزة الأمن:

التطاول على ولي الأمر وإهانته قد يؤدي إلى زعزعة استقرار

(١) توقير السلطان والتأدب معه في ضوء الكتاب والسنة ومعاملة سلف الأمة، عماد أحمد عبد العظيم، ص١١٣.

الأمة وإشعال نار الفتن، ما يفتح الباب أمام أعمال العنف التي تصل إلى قتل السلاطين والأمراء والوزراء، بل واغتيال قيادات الجيوش وأجهزة الأمن التي هي في الأصل حامية للدولة وحافظة لأمن الناس. وعندما تصبح هيبة السلطة مهددة وتغيب سيادة القانون، يتجرأ البعض على التعدي على حياة القادة، الأمر الذي يؤدي إلى فوضى واسعة النطاق.

قال سماحة شيخنا الإمام ابن باز رحمه الله رحمة واسعة: "ولما فتح الخوارج الجهال باب الشر في زمان عثمان رضي الله عنه وأنكروا على عثمان علنا عظمت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم، حتى حصلت الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وقتل عثمان وعلي بأسباب ذلك، وقتل جمع كثير من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العلني، وذكر العيوب علنا، حتى أبغض الكثيرون من الناس ولي أمرهم وقتلوه"(١).

واغتيال القادة والإضرار بأجهزة الأمن لا يضعف النظام الحاكم فقط، بل يفتح أبواب الفوضى على المجتمع بأكمله، ويهدد أمن الأفراد واستقرارهم، ويجعل البلاد عرضة للأعداء الخارجيين والطامعين. ولهذا، جاءت توجيهات الإسلام صريحة في التحذير من إثارة الفتن بين المسلمين وأمرتهم بلزوم

(١) مجموع الفتاوى، ابن باز، ٨/ ٢١١.

الجماعة واحترام ولاة الأمور، ليبقى المجتمع محصنًا من الانزلاق إلى مثل هذه الجرائم الخطيرة.

(٩) تعريض المتطاول وربما أهله للقتل والسجن والتعذيب:

التطاول على ولي الأمر وإهانته قد يؤدي إلى عواقب شخصية وخيمة ليس فقط على المتطاول نفسه، بل قد تمتد العقوبات إلى أسرته وأقربائه. عندما تتعدى المعارضة حدود النصيحة البناءة وتتحول إلى تطاول وسخرية أو محاولة لإثارة الفوضى، قد تعتبر السلطة ذلك تهديدًا يستدعي العقاب الصارم، والذي قد يتضمن السجن، أو حتى التعذيب في بعض الحالات.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ﵀: "لَا يُتَعَرَّض لِلسُّلْطَانِ فَإِنَّ سَيْفَهُ مَسْلُول وَعَصَاهُ"[(١)].

وهذا التصرف، إلى جانب كونه مرفوضًا شرعًا، يسبب تفككًا أسريًّا ويضع أفراد العائلة تحت ضغوط نفسية واجتماعية كبيرة، بالإضافة إلى تعريضهم لمخاطر لا ذنب لهم فيها. لذلك، شدد الإسلام على ضرورة التعامل مع الحاكم بأسلوب النصيحة بالحكمة والرفق، وذلك من أجل المحافظة على أمن المجتمع واستقراره وتجنب تداعيات قد تنسف التماسك وتعرّض الأفراد للأذى.

(١) الآداب الشرعية، ابن مفلح، ١/ ٢٢٢.

(١٠) مدعاة إلى زيادة الطغيان والشر:

قال ابن تيمية رحمه الله: "وقَلَّ مَن خرج على إمامٍ ذي سلطان إلا كان ما تولد على فِعْله من الشر أعظم مما تولد من الخير"(١).

فالتطاول على ولي الأمر والإساءة إليه قد يكون له تأثير عكسي يزيد من الطغيان والشر في المجتمع. عندما يُهاجم ولي الأمر بشكل مستمر، سواء كان ذلك عبر التشهير أو التحريض، فإن ذلك قد يؤدي إلى تعزيز سلطته بطريقة غير مباشرة، من خلال تكريس مواقف متشددة من قبل ولاة الأمور الذين يسعون لردع المعارضين.

إضافة إلى ذلك، يزيد هذا التوتر السياسي من الانقسامات داخل المجتمع، ويشجع على نشر الكراهية والتحريض على العنف، ما يجعل الأمور تزداد سوءًا ويؤدي إلى زيادة الفوضى والشر.

احذر السلطان واحذر بطشه ... لا تعاند مَن إذا قال فعل

(١١) نقص الخير وزيادة الفقر وارتفاع الأسعار:

وهذا الأثر معلوم بالاستقراء لا ينازع فيه عاقل، ومَن تأمل

(١) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ٤/ ٣١٤.

في واقع المسلمين لا ينكر هذا الأثر والسبب في حصول نقص الخير وزيادة الفقر وارتفاع الأسعار مخالفة أمر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم تسليمًا مزيدًا، واضطراب أمر الملك والسلطان وغياب الرقابة.

ودليل ذلك ما حدث لأهل المدينة في زمان عبد الملك بن مروان من ضيق وفقر بسبب إهانة السلطان والخروج عليه.

قال ابن شهاب رحمه الله: "أصابت أهل المدينة حاجة من فتنة عبد الملك بن مروان، فتذكرت هل من أحد أمت إليه برحم أو بمودة أرجو إن خرجت إليه أن أصيب منه شيئًا؟ فما ذكرت أحدًا، فقلت: الرزق بيد الله، فخرجت حتى قدمت دمشق، فلما أصبحت غدوت إلى المسجد فعمدت إلى أعظم حلقة رأيتها فيه وأكثرها هيئة فجلست إليهم، فإني لجالس معهم إذ أقبل رجل كأجمل الرجال وأحسنهم هيئة، فلما رآه القوم تحججوا(١) له وأوسعوا، وإذ هو قبيصة بن ذؤيب...."(٢).

فاستمرار الهجوم على السلطة الحاكمة قد يُضعف ثقة المستثمرين في الاقتصاد المحلي، ما يؤدي إلى انخفاض الاستثمارات الأجنبية والمحلية. ونتيجة لهذا، قد تتعرض البلاد

(١) تحججوا: أي: قصدوا إليه وأوسعوا.
(٢) إسناده حسن: تاريخ المدينة، ابن شبة، ٢/ ٧٢٤.

لأزمات اقتصادية، تتفاقم فيها مشكلة ارتفاع الأسعار بسبب نقص المواد الأساسية، وتصبح قدرة الدولة على تقديم الدعم للفئات الأكثر احتياجًا محدودة.

على الجانب الآخر، الإضطرابات السياسية والتوترات الناتجة عن التشهير بالحاكم قد تؤدي إلى تفشي الفساد داخل المؤسسات الحكومية، مما يزيد من سوء إدارة الموارد ويؤدي إلى تدهور الوضع الاقتصادي بشكل عام. هذه الظروف تجعل الفقراء والمحتاجين في وضع أكثر صعوبة، حيث يصبح من الصعب عليهم تأمين احتياجاتهم الأساسية في ظل الغلاء المستمر.

وخلاصة الأمر فإن الإهانة لولي الأمر والتقليل من هيبته يمكن أن تقود إلى حلقة مفرغة من المشاكل الاقتصادية التي يصعب حلها، مما يؤدي إلى نقص في الخير وازدياد الفقر وارتفاع الأسعار.

(١٢) نشوب الحروب بين المسلمين بعضهم البعض:

إهانة ولي الأمر والتطاول عليه قد تؤدي إلى نشوب الحروب بين المسلمين بعضهم البعض مما يؤدي إلى كثرة عدد القتلى بين المسلمين وحصول الفرقة والشتات وذهاب ريح

المسلمين أمام أعدائهم:

وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

مما يعمق الفتنة ويزيد الفرقة بين أفراد الأمة. هذه الصراعات تضعف الجبهة الداخلية، وتتيح للأعداء استغلال الوضع لإضعاف الدولة المسلمة. كما تؤدي الحروب الداخلية إلى خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات، مما يعوق التنمية ويشتت جهود الأوطان. لذا من الضروري الحفاظ على الوحدة والولاء للحكام الشرعيين لتحقيق الأمن والاستقرار.

(١٣) غزو الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم لبلاد الإسلام

إهانة ولي الأمر والتطاول عليه يمكن أن يؤدي إلى ضعف السلطة والفرقة داخل الأمة الإسلامية، مما يشجع أعداء الإسلام، مثل اليهود والنصارى وغيرهم، على استغلال هذا الضعف وشن غزوات على بلاد الإسلام. تصبح الدولة أضعف في مواجهة التهديدات الخارجية، مما يعرضها للهجوم والاحتلال من قبل أعدائها. الوحدة والولاء للحكام الشرعيين هما الأساس لحماية الأوطان من هذه الأخطار والتمتع

بالأمن والاستقرار.

(١٤) الوقوع في الغيبة المحرمة إذا كانت العيوب في ولي الأمر وإن لم تكن فيه فيكون الذنب أعظم للوقوع في الكذب والبهتان:

إهانة ولي الأمر والتطاول عليه قد يؤديان إلى الوقوع في الغيبة المحرمة، خاصة إذا تم ذكر عيوب لا تُوجد في ولي الأمر.

الغيبة، سواء كانت في حق ولي الأمر أو غيره، تُعد من الكبائر في الإسلام، وقد ورد تحذير شديد منها في القرآن والسنة. وفي حالة الكذب والبهتان، يصبح الذنب أعظم لأن الشخص لا يقتصر على الغيبة فقط، بل يُلحق ضررًا أكبر بالتشهير والتشويه، وهو ما يمكن أن يؤدي إلى تفكيك المجتمع وزيادة الفتنة بين الناس.

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[(١)].

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩).

(١٥) معاندة ولي الأمر وعدم قبوله للنصيحة:

التطاول على ولي الأمر أو انتقاده علنًا دون اتباع الأساليب الشرعية للنصح قد يؤدي إلى إثارة غضبه ومعاندته، مما يجعل ولي الأمر أقل تقبلًا للنصيحة والإصلاح. فقد يشعر ولي الأمر بالتهديد أو الانقسام، ما يدفعه للتمسك برأيه ويقلل من استعداده للاستماع إلى نصائح مفيدة من المخلصين حوله. ونتيجةً لذلك، تصبح القيادة أقل مرونة في الاستجابة لمطالب الإصلاح والتطوير، مما يؤثر سلبًا على مسار الدولة واستقرارها، ويجعلها عرضة لتفاقم المشكلات بدل حلّها.

(١٦) نشوب الفتن وانتشار الفوضى:

التطاول على ولي الأمر والانتقاص منه يؤديان إلى زعزعة الاستقرار وإشاعة الفوضى في المجتمع، مما يفتح الباب أمام الفتن والصراعات الداخلية. حين يفقد الناس الثقة في حكامهم، تضعف وحدة الدولة، ويقلّ الالتزام بالنظام، فتزداد النزاعات بين الأفراد والمجتمعات. ويؤدي هذا إلى تفكك النسيج الاجتماعي ويعوق التقدم، ويجعل البلاد عرضة للتدخلات الخارجية، إذ لا تستقيم الحياة الآمنة إلا في ظل استقرار سياسي واجتماعي.

(١٧) تعطيل الدعوة إلى الله ونشر العلم:

عندما يتم التطاول على ولي الأمر وإثارة الفتن، تتعطل الأنشطة الدينية والدعوية، حيث يصعب إقامة الفعاليات التعليمية والدعوية في ظل الاضطرابات وعدم الاستقرار.

يؤدي هذا إلى تراجع نشر العلم الشرعي والقيم الإسلامية، مما يضعف الوعي الديني ويؤخر الإصلاح في المجتمع، ويحد من قدرة الدعاة والعلماء على أداء رسالتهم، فيبقى الناس دون هداية وتوجيه، ويؤثر ذلك سلبًا على الجوانب الأخلاقية والفكرية لأوطان المسلمين.



(قَلَّ مَن خرج على إمامٍ ذي سلطان إلا كان ما تولَّد على فعله من الشر أعظم مما تولَّد من الخير).

[ابن تيمية - منهاج السنة (٤/٣١٤)]



موانع ومنهيات

١. التنابز له بالألقاب
٢. سبه والانتقاص منه
٣. منع احتقاره والسخرية منه
٤. مَنْع غيبته
٥. منع احتقار أعماله والسخرية منها
٦. منع نشر مساوئه والتشهير به
٧. منع ترويج الشائعات
٨. منع الافتيات عليه فيما هو من حقوقه
٩. منعُ تكفيره
١٠. منع الخروج عليه





موانع ومنهيات

(١) التنابز له بالألقاب:

من صور إهانة ولي الأمر: تنابز أهل البدع له بالألقاب البذيئة التي لا تليق به:

والتنابز بالألقاب محرَّم في حق الحاكم والمحكوم، وإن كان النهي في حق الحاكم أشد وأغلظ لما يفضي إليه من سقوط هيبته وتجرؤ الرعاع عليه، ونحو ذلك من المفاسد(١).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات: الآية ١١].

قال ابن سعدي ﷺ: "﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾، أي: لا يعير أحدكم أخاه، ويلقبه بلقب ذم يكره أن يطلق عليه وهذا هو التنابز، وأما الألقاب غير المذمومة، فلا تدخل في هذا"(٢).

(١) توقير السلطان والتأدب معه في ضوء الكتاب والسنة ومعاملة سلف الأمة، عماد أحمد عبد العظيم، ص٩٨.

(٢) تفسير السعدي، ص ٨٠١.

فالتنابز بالألقاب يعد من مظاهر انتقاص مكانة ولي الأمر، خاصة عندما تُستخدم ألقاب بذيئة أو مهينة لا تليق بمقام الحاكم. ويعتبر التنابز بالألقاب محرمًا في حق الجميع، سواء كانوا من الحكام أو المحكومين، إلا أن المنع يكون أشدّ في حق الحاكم، حيث إن استخدام الألقاب المهينة معه يمكن أن يؤدي إلى إسقاط هيبته وتشجيع الناس، خاصة أصحاب النفوس الضعيفة أو أصحاب البدع، على التطاول عليه، مما يفضي إلى فساد كبير وضرر للمجتمع ككل.

(٢) سبه والانتقاص منه:

إنَّ الوقيعة في أعراض الأمراء والسلاطين والاشتغال بسبهم، وذِكر معايبهم، خطيئة كبيرة: وجريمة شنيعة، نهى عنها الشرع المطهر وذم فاعلها.

وهي نواة الخروج على ولاة الأمر، الذي هو أصل فساد الدين والدنيا معا. وقد عُلِمَ أن الوسائل لها أحكام المقاصد، فكل نص في تحريم الخروج وذم أهله، دليل على تحريم السب وذم فاعله. روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي قال: «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرا أو ليصمت»[(١)]، وفي الصحيحين

(١) البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، ١٠/ ٤٤٥.

عن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: قالوا: يا رسول الله، أي الإسلام أفضل؟ قال: «المسلم مَن سلم المسلمون من لسانه ويده»[(١)].

وعن زياد بن كسيب العدوي قال: كنت مع أبي بكرة تحت منبر بن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق فقال أبو بلال انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق، فقال أبو بكرة: اسكت سمعت رسول الله يقول: «مَن أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله»[(٢)].

وعن أنس بن مالك ﵁ قال: (كان الأكابر من أصحاب رسول الله ينهونا عن سب الأمراء)[(٣)] ففي هذا الأثر اتفاق أكابر رسول الله ﷺ على تحريم الوقيعة في الأمراء بالسب.

وهذا النهي منهم ﵃ ليس تعظيما لذوات الأمراء، وإنما لعظم المسئولية التي وكلت إليهم في الشرع، والتي لا يقام بها على الوجه المطلوب مع وجود سبهم والوقيعة فيهم. لأن سبهم يفضي إلى عدم طاعتهم في المعروف، وإلى إيغار صدور العامة

(١) البخاري، ١/ ٥٤ بالفتح: صحيح مسلم.
(٢) سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، باب ما جاء في الخلافة، ٤/ ٢٠٥.
(٣) التمهيد، ابن عبد البر، تحقيق مصطفى أحمد العلوي - محمد عبد الكبير، ٢١/ ٢٨٧.

عليهم مما يفتح مجالا للفوضى التي لا تعود على الناس إلا بالشر المستطير، كما أن مطاف سبهم ينتهي بالخروج عليهم وقتالهم، وتلك الطامة الكبرى والمصيبة العظمى.

توقير السلطان وتعظيمه واجب بنصوص الشرع، ومَن تجاسر على سبهم ولعنهم فهو رقيق الدين قليل الفهم، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "إن أول نفاق المرء طعنه على إمامه"[(١)]، وقال أيضًا: "إياكم ولعن الولاة؛ فإن لعنهم الحالقة، وبعضهم العاقرة، قيل: يا أبا الدرداء، فكيف نصنع إذا رأينا منهم ما لا نحب؟ قال: اصبروا، فإن الله إذا رأى ذلك منهم حبسهم عنكم بالموت"[(٢)].

وسبُّ السلطان وشتمه حرام؛ لأنه يدخل في عموم قوله ﷺ: "سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ"[(٣)]، وسب السلطان أعظم ذنبًا؛ لأن المفاسد التي تترتب على سبه وشتمه أعظم من المفاسد التي تترتب على سب آحاد الرعية.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: نَهَانَا كُبَرَاؤُنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: "لَا تَسُبُّوا أَمَرَاءَكُمْ، وَلَا تَغِشُّوهُمْ، وَلَا

(١) السنة، ابن أبي عاصم، رقم ١١٠٥؛ شعب الإيمان، البيهقي، رقم ٧٥٠٧؛ التمهيد، ابن عبد البر، ٢١/ ٢٨٦-٢٨٧.

(٢) السنة، ابن أبي عاصم، ٢/ ٤٨٨.

(٣) أخرجه البخاري، (٦٠٤٤)؛ مسلم، (٦٤).

تَبْغَضُوهُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ وَاصْبِرُوا؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ قَرِيبٌ"(١).

وهكذا فإن توقير السلطان وتعظيمه واجب شرعي تستوجبه النصوص ويأمر به السلف الصالح، حيث إن التجاسر على سب الحكام ولعنهم يُعد علامة ضعف في الدين وقلة في فهم مقاصد الشريعة.

قال الشيخ عبد السلام بن برجس ﷺ: "الوقيعة في أعراض الأمراء والاشتغال بسبهم وذكر معايبهم خطيئة كبيرة وجريمة شنيعة نهى عنها الشرع المطهر، وهي نواة الخروج على ولاة الأمر الذي هو أصل فساد الدين والدنيا معًا، وقد علم أن الوسائل لها أحكام المقاصد، فكل نص في تحريم الخروج وذم أهله دليل على تحريم السب وذمفاعله"(٢).

وقال سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله رحمة واسعة: "ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى، وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض في الذي يضر ولا ينفع"(٣).

(١) إسناده ثابت: تقدم تخريجه.
(٢) معاملة الحكام، عبد السلام بن برجس، ص١٥.
(٣) مجموع الفتاوى، ابن باز، ٨/ ٢١١.

لأنه من المعلوم أن الحرب أولها كلام، وما تهيجتِ النَّفوس لفتنة إلا وكان المحرك لها الكلام والتحريض[١].

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "إنما الفِتْنَةُ بِاللِّسَانِ وليست باليد"[٢].

ومِنَ العِبر في هذا الباب ما قاله عبد الله بن حكيم بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه له، قال عبد الله: "لا أعين على دم خليفة أبدًا بعد عثمان!

فقيل له: يا أبا معبدِ أَوَ أَعَنْتَ عَلى دَمِهِ؟

فقال: "إِنِّي أَعُدُّ ذِكرَ مَساوِئِه عَوْنًا عَلَى دَمِهِ".

فذكر المعائب والمساوئ - إذا كانت حقا - أمر ممنوع شرعًا، نظرًا لِمَا يترتب عليه في حق الولاة من إطاحة هيبتهم، والدعاية لبغضهم، والتنفير عنهم، ومِنْ ثُمَّ تهيئة الأسباب للخروج عليهم. وكُلُّ ذلك مِمَّا نُهي عنه شرعًا[٣].

(١) هيبة ولى الأمر وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ وَضَرُورَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، دغش بن شبيب العجمي، ص٢٣٦.

(٢) الفتن، الداني، ٢/ ٤٤٥ - ٤٤٦، رقم (١٧١)؛ ينظر: باب ذم الكلام في الفتنة من الفتن، ٢/ ٤٤٣.

(٣) هيبة ولى الأمر وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ وَضَرُورَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، دغش بن شبيب العجمي، ص٢٣٧.

والشريعة إذا حرمت شيئًا حرمت وسائله وطرقه، ولذلك تكاثرت الآثار في النهي عن سب ولاة الأمر، بل وتحريم ذلك، وعده من أسباب الشر.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله فقالوا لنا لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشوهم ولا تَعْصُوهُم، وَاتَّقُوا اللهَ وَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الأَمْرَ قَرِيبٌ"(١).

(٣) منع احتقاره والسخرية منه:

والسعي إلى الإمام لإذلاله فتحٌ لباب الاستخفاف به واحتقاره مما يُجرئ أهل الفساد والزيغ على الخروج عليه ولو كان صالحًا لأنه في نظرهم ضعيف. يمكنهم أن يخلعوه بسهولة، بل ذلك دافع قوي للسُّرَّاق والمجرمين في الاستخفاف في الأمن وترويع الناس لأنهم يرون أن الإمام ضعيف، قد مشى إليه الناس فأذلوه وأهانوه.

ولذلك جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ تحث على توقير الإمام وتعزيزه؛ منها حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: قال ﷺ: «خَمْسٌ مَنْ فَعَلَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ كَانَ ضَامِنًا عَلَى الله» -وذَكَرَ منها-:

(١) السنة، ابن أبي عاصم، ٢/ ٦٩٣، رقم ١٠٤٩، الفتن، الداني، ٢/ ٣٩٨ رقم (١٣٩ - ١٤١).

«أَوْ دَخَلَ عَلَى إِمَامِهِ يُرِيدُ بِذَلِكَ تَعْزِيزه، وتوقيره..»[(١)].

وقوله ﷺ: «مَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللهِ أَكْرَمَهُ اللهُ، وَمَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللهِ أَهَانَهُ الله»[(٢)].

قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله رحمة واسعة: "وإهانة السلطان لها عدة صور:

منها: أن يسخر بأوامر السلطان فإذا أمر بشيء قال: انظروا ماذا يقول؟"[(٣)].

قال المناوي رحمه الله: "لا ينبغي احتقار السلطان ولو ظالما فاسقا"[(٤)].

وقال رحمه الله: "والسُّلطانُ جَعَلَهُ اللهُ مَعُونَةً لِخَلْقِهِ فَيُصَانُ مَنْصِبُهُ عن السب والامتهان؛ ليكون احترامه سببًا لامتداد فيء الله، ودوام معونة خَلْقِهِ، وقد حذَرَ السَّلَفُ مِن الدُّعَاءِ عليه؛ فإنهُ يزداد شرا، ويزداد البلاء على المسلمين"[(٥)].

وهكذا فإن احتقار الإمام أو السخرية منه تؤدي إلى زعزعة

(١) رواه أحمد، ٣٦/ ٤١٢؛ رقم (٢٢٠٩٣)؛ السنة، ابن أبي عاصم، ٢/ ٢٩٦، رقم ١٠٠٠، (١٠٥٦)؛ المعجم الكبير، الطبراني، ٢٠/ ٣٨، رقم (٥٥).
(٢) التاريخ الكبير، البخاري، ٣/ ٣٦٧؛ الفتن، الترمذي، ٤/ ٨١ رقم (٢٢٢٤).
(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ١/ ٧٢٠.
(٤) فيض القدير، زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين، ٢/ ٤٥٥.
(٥) فيض القدير، زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين، ٦/ ٣٩٩.

احترامه بين الناس، مما يدفع أهل الفساد والخروج إلى التجرؤ عليه، ويسبب ضعفًا في الهيبة العامة للأمن والنظام، كما أن السخرية من الإمام وتجاهل أوامره يُعطي للمفسدين دافعًا للاستهانة بسلطته وقدرته على حماية الرعية، وهذا ما يُفضي إلى انتشار الفوضى والاستهتار بأمن المجتمع.

(٤) مَنْع غيبته:

من المتفق عليه عند العلماء: تحريم الغيبة؛ لنص الكتاب العزيز، والسنَّة المطهرة.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ قال: «أَتَدْرُونَ ما الغِيبَةُ؟» قالوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قال: «ذِكْرُكَ أَخاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قيل: أَفرَأَيْتَ إِنْ كان في أَخِي ما أقول؟

قال: «إِنْ كان فيه ما تقولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[1].

(١) رواه مسلم، ٤/ ٢٠٠١، رقم ٢٥٨٩.

والغيبة تعظم بعظم من يُغتاب، "ولذلك تغلظت الغيبة بِحَسَبِ حالِ الْمُؤْمِنِ"(١).

فغيبة ولي الأمر من أعظم أنواع الغيبة، وفيها حطٌّ من مكانته، وإذهاب لهيبته، فكثرة الكلام والوقيعة فيه سبب لذلك(٢).

قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: "إذا اغتبنا الأمراء أو السلطان قلت هيبة الناس لهم، وسَهُلَ عليهم التمرد عليهم وعصيانهم، وهذا إخلال بالأمن كبير"(٣).

وهكذا فإن تحريم الغيبة أمرٌ واضح ومجمع عليه، سواء بحق الأفراد العاديين أو الحكام، وتزداد حرمة الغيبة إذا كانت تتعلق بمن لهم مكانة خاصة كالأمراء والسلاطين، حيث تُعد غيبتهم من أخطر أنواع الغيبة لما تسببه من إضعاف لهيبتهم وسهولة التمرد عليهم.

لذا فإن التحذير من غيبة الحكام يأتي لما فيها من مفاسد عظيمة على الأفراد والمجتمع، فهي تضعف الثقة بولاة الأمر

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢٨/ ٢٢٥.
(٢) هيبة ولى الأمر وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ وَضَرُورَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، دغش بن شبيب العجمي، ص٢٤٨.
(٣) لقاءات الباب المفتوح، ابن عثيمين، ٣/ ٥٢، شريط (٣٠).

وتثير البلبلة بين الناس، مما يهدد استقرار المجتمع ويُخل بالأمن العام.

(٥) منع احتقار أعماله والسخرية منها:

يعد احتقار أعمال السلطان والسخرية منها من الممارسات التي تضر بوحدة المجتمع واستقراره. فإظهار أعماله بصورة مستهزئة أو التقليل من شأن قراراته يولد شعورًا لدى الناس بعدم الاحترام ويشجع على التمرد وعدم الامتثال لتوجيهاته.

قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله رحمة واسعة، وهو يتكلم عن صور إهانة السلطان:

"ومنها: إذا فعل السلطان شيئًا لا يراه هذا الإنسان قال: انظروا انظروا ماذا يفعل؟ يريد أن يهون أمر السلطان على الناس؛ لأنه إذا هون أمر السلطان على الناس استهانوا به، ولم يمتثلوا أمره، ولم يجتنبوا نهيه"[(١)].

فاحتقار أعمال السلطان والسخرية منها لا يعدّ مجرد انتقاد، بل هو تقليل لمكانة القيادة وضربٌ للاستقرار المجتمعي، إذ ينشأ عنه عدم التزام الرعية بتوجيهات ولي الأمر، مما يعرض الأمن والنظام للفوضى.

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ١/ ٧٢٠.

(٦) منع نشر مساوئه والتشهير به:

يُحظر في الإسلام نشر مساوئ الحُكَّام وولاة الأمر أو التشهير بهم، لأن ذلك يسبب تفكك المجتمع ويسهم في تضعيف هيبة السلطة.

الإسلام يدعو إلى الحفاظ على وحدة الدولة واحترام ولاة الأمر، ويشدد على ضرورة التعامل معهم بالحكمة والعدل، وعدم نشر أي عيوب أو مساوئ لهم.

فبعض الناس فاكهة مجالسه التشغيب على ولي الأمر بإظهار المساوئ الموجودة في البلاد للتوصل بها إلى الطعن فيه[١].

قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: "والنصيحة لهم هي أنْ نَكُفَّ عن مساوئهم، وأن لا ننشرها بين الناس، وأن نبذل لهم النصيحة ما استطعنا بالمباشرة... أو بالكتابة...، أو بالاتصال بمن يتصل بهم...

أما نشر مساوئهم فليس به عدوان شخصي عليهم فقط، بل هو عدوان شخصي عليهم وعلى الأُمةِ جميعًا؛ لأنَّ الأُمَّةَ إِذا امتلأت صُدورها من الحقد على ولاة أمورها عَصَتِ الولاةَ،

(١) هيبة ولى الأمر وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ وَضَرُورَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، دغش بن شبيب العجمي، ص٢٥٤.

ونابَـذَتْهُم، وحينئـذ تحصـل الفوضـى، ويسـود الخـوف، ويـزول الأمن، فإذا بقيت هيبة ولاة الأمور في الصدور صار لهم هيبة، وحميت أوامرهم ونظمهم التي لا تُخالِفُ الشَّريعة"(١).

إنَّ توجيه النقد لهم يجب أن يتم بطرق هادئة وسرية، تضمن الإصلاح بـدون التسبب بضـرر للأمـة بأسـرها. فـابن عثيمـين رحمه الله يشير في كلامه إلى أن كتمان مساوئهم والنصح لهم مباشرة من خلال قنوات مشروعة لا يعتبر فقط واجبًا أخلاقيًا، بل هو أيضًا حماية للمجتمع بأسره من آثار الكراهية والفوضى التي قد تنتج عن الحط من مكانتهم.

(٧) منع ترويج الشائعات:

ترويج الشائعات والأكاذيب الباطلة للتلاعب بعواطف الرعية وإثـارتهم علـى سـلطانهم مثـل نشـر المنشـورات وبـث الأخبـار المكذوبة وتبديل الحسنات التي يعملها الحكام إلى سيئات(٢):

وهـذه الصـورة نهـى عنهـا الشـرع: فعَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رضي الله عنه عَـنْ النَّبِـيِّ صلى الله عليه وسلم قَـالَ: "آيَـةُ الْمُنَـافِقِ ثَـلَاثٌ إِذَا حَـدَّثَ كَـذَبَ وَإِذَاوَعَـدَ

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ٢/ ٣٩٦.
(٢) توقير السلطان والتأدب معه في ضوء الكتاب والسنة ومعاملة سلف الأمة، عماد أحمد عبد العظيم، ص١٠٥.

أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ"[١].

وترويج الأكاذيب والشائعات على السلطان من البهتان المحرم: لقوله ﷺ: "أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: "ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ"، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: "إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُفَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَهُ"[٢].

فترويج الشائعات والأكاذيب ضد الحكام هو من المحرمات في الإسلام، لما يترتب عليه من مفاسد اجتماعية وأخلاقية تتسبب في زعزعة الاستقرار ونشر الفوضى. إن تلاعب البعض بعواطف العامة وإثارتهم ضد ولاة أمرهم من خلال نشر أخبار كاذبة وتحوير أعمالهم الحسنة إلى ما يظهرها كسيئات، يعد أسلوبًا غير أخلاقي ومخالفًا للتعاليم الإسلامية. فقد جاء في الحديث النبوي عن صفات المنافقين: "إذا حدّث كذب"؛ مما يوضح مدى خطورة الكذب كصفة تدمر الثقة وتنشر الكراهية.

ويعزز النبي ﷺ هذا التحذير في الحديث الذي يصف الغيبة بأنها "ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ"، ويصف الكذب والبهتان بأشد العبارات إذا كانت التهمة غير صحيحة، لأن ذلك يؤدي إلى

(١) أخرجه البخاري، (٣٣)؛ مسلم، (٥٩).
(٢) أخرجه مسلم، (٢٥٨٩).

تشويه سمعة الحاكم بلا حق. لذلك، يجب التحقق من صحة الأخبار وتجنب ترويجها إلا بما يعود بالنفع وبما يتوافق مع النصيحة الصحيحة والشرعية.

(٨) منع الافتيات عليه فيما هو من حقوقه:

من الاعتداء على مقام ولي الأمر الافتيات عليه فيما هو من حقوقه وخصائصه، وما جعل الله له من ذلك.

فحفظ النظام، وردع المجرمين، وكف الظلمة، وإقامة الحدود، أو التعزيرات، وتطبيق القانون، والتسعير، وتعيين إمام المسجد والخطيب، والقضاة، والإنكار باليد - فيما لا سلطة للعبد عليه - وتكسير المنكرات من صلاحيات ولي الأمر ومن يُنيبه، وغيرها كثير من مهمات ولاة الأمر، ولو تركت للناس لأصبحت الأمور فوضى، وانتشر الفساد العريض في البلاد وبين العباد، كما نص على ذلك العلماء[(١)].

قال الحسن البصري رحمه الله: "هم يلون من أمورنا خمسًا:

الجمعة، والجماعة، والعيد، والثغور، والحدود.

والله لا يستقيم الدِّينُ إلَّا بهم، وإِنْ جَارُوا وَظَلَمُوا، واللهِ لَمَا

(١) هيبة ولى الأمر وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ وَضَرُورَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، دغش بن شبيب العجمي، ص٢٦٤.

يُصْلِحُ الله بهم أكثرُ مِمَّا يُفْسِدُونَ، مع أَنَّ طَاعَتَهم غبطةٌ، وأَنَّ فرْقَتَهُمْ لكفر"[١].

والافتيات عليهم في ذلك ازدراء لهم، وإذهاب لهيبتهم من نفوس رعيتهم[٢].

وهكذا فإن منع الافتيات على ولي الأمر في الأمور التي هي من حقوقه وخصائصه يعد من القواعد المهمة في الإسلام للحفاظ على استقرار المجتمع والنظام العام.

ويؤكد الحسن البصري رحمه الله أهمية ولاة الأمر حتى مع وجود بعض الأخطاء منهم، إذ إن في طاعتهم حفظًا للنظام ودرءًا لمفاسد أكبر. فالإمام القائم على شؤون المسلمين يعين لحفظ الدين والنظام من خلال تنفيذ الأحكام الشرعية وتسيير الأمور العامة.

(٩) منعُ تكفيره:

إنَّ مسألة التكفير ليست أمرًا اجتهاديًّا، لكل أحد، كما هو الشأن بالنسبة للديانتين اليهودية والنصرانية، فلا يجوز في

(١) آداب الحسن البصري، ابن الجوزي، ص١٢١.

(٢) هيبة ولى الأمر وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ وَضَرُورَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، دغش بن شبيب العجمي، ص٢٦٥.

الإسلام أن يكفر أحد من أهل القبلة من الأمراء أو الحكام أو غيرهم، بذنب أو معصية.

ولعل من أعظم ما يتعلق به اليوم بعض خوارج عصرنا في تكفير المجتمع والحكام والعلماء، استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وهذا القول منهم ليس بجديد، فقد سبق الخوارج الأولون إليه، وقالوا: بتكفير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بدعوى أنه لم يحكم بما أنزل الله، وإنما حكم بآراء الرجال[١].

وقد وردت الأدلة المتواترة على تحريم التكفير أشد تحريم والوعيد عليه أشد الوعيد، فقد ورد في صحيحي البخاري ومسلم، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله: «إذا قالَ الرَّجُل لأخيه: يا كَافِر، فَقَدْ باء بها أحَدُهُما، فإن كان كما قال، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ»[٢].

قال العلامة النفراوي رحمه الله: "والشأن لا يكفر أحد ممن حكم

(١) علاقة الحاكم بالمحكوم: في ضوء الفقه الإسلامي، محمد محمد معافي علي المهدلي، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الأندلس للعلوم والتقنية، مج ١٥، ع١٣، يناير٢٠١٧م، ص٤٠١ - ٤٠٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي باب من كفر أخاه بغير تأويل، ٨/ ٣٢، برقم (٦١٠٣-٦١٠٤)؛ صحيح مسلم، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، ١/ ٥٦، رقم (٢٨).

بإسلامه بذنب من أهل القبلة"[١].

والملحوظ من أقوال الأئمة الأعلام[٢] إجماعهم على عدم التكفير بالذنب والمعصية، وهذا أمر لا إشكال فيه، وإنما المشكل فيما يقع من بعض الحكام أو المحكومين من الوقوع في ناقض من نواقض الإيمان، أو ربما الوقوع في بعض ما يمكن القول فيه بالكفر -عياذًا بالله- وهذا ليس محله التكفير المطلق، أو الفتاوى المستعجلة، وإنما مكانه القضاء الشرعي، وقد أجمع العلماء أنه لا يجوز تكفير المعين، إلا بعد وجود الشروط وانتفاء الموانع، وهذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاويه حيث قال -رحمه الله-: "لَيْسَ كُلُّ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْكُفْرِ يَكْفُرُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الْمُثْبِتَةُ لِكُفْرِهِ، فَإِذَا قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ كَفَرَ حِينَئِذٍ"[٣].

فكيف بإطلاق بعض صغار طلبة العلم عبارات التكفير على عواهنها، دون ورع أوتأن أو نظر إلى دليل من كتاب أو سنة أو إجماع، ولا شك أن هذه أيضًا صورة أخرى من صور التطرف

(١) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، النفراوي، المحقق: رضا فرحات، مكتبة الثقافة الدينية، ١/ ٩٤.

(٢) وقد أفردت لها كتبًا مستقلة في بيان ذلك.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصي النجدي، مكتبة ابن تيمية، ٥/ ٣٠٦.

والغلو الذي يستمرؤه بعض من ينقصهم العلم الشرعي وفقه الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة الغراء.

كما أن الوقوع في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، ونقض عرى الإسلام وأركان الإيمان، خطر عظيم، قد يقع من بعض المسلمين حكامًا ومحكومين والواجب الشرعي عدم إطلاق عبارات التكفير، بل الواجب هو السعي إلى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة[(١)].

من هنا نهى الإسلام عن التسرع في الحكم على المسلمين بالكفر؛ لأن ذلك يفتح أبواب الفتن ويمزق صفوف الأمة. ومن هذا المنطلق، يُعد تكفير ولي الأمر جناية عظيمة تهدد السلم الاجتماعي وتؤدي إلى تفكك المجتمع واضطراب الأمن. ولهذا، يجب الالتزام بضوابط الشريعة في النصح والإصلاح، والابتعاد عن الحكم بالتكفير دون بينة، تجنبًا للعواقب الوخيمة المترتبة على ذلك.

(١٠) منع الخروج عليه:

استقر معتقد أهل السنة والجماعة على أنه لا يجوز الخروج

(١) علاقة الحاكم بالمحكوم: في ضوء الفقه الإسلامي، محمد محمد معافي علي المهدلي، ص٤٠٤.

على الحاكم الشرعي الذي تمت له البيعة، ولو بدر منه معصية إلا في حال الكفر الأكبر. قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد كلامه على أصول أهل السنة والجماعة في الاعتقاد: "ثم هم مع هذه الأصول، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، ويرون إقامة الحج والجمع والأعياد مع الأمراء أبرارًا كانوا أو فجارًا"(١).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ خَرَجَ مِنْ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِلْعَصَبَةِ وَيُقَاتِلُ لِلْعَصَبَةِ فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي، وَمَنْ خَرَجَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا لَا يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي بِذِي عَهْدِهَا فَلَيْسَ مِنِّي»(٢).

وفي "الصحيحين" عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنْ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

وقال الطحاوي رحمه الله: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم ولا ننزع يدًا من طاعتهم،

(١) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٩٩٣م، ص ٢١٥.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٨).

ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة، ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة"(١).

ومن أمثلة المعاصي التي لا توجب الخروج على الحاكم، الظلم الأصغر، فإن الحاكم يُطاع وإن كان ظالمًا جائرًا وإثمه عليه، ومن الأدلة على ذلك:

ما رواه وائل الحضرمي قال: سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم، ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله في الثالثة، فجذبه الأشعث بن قيس، وقال رسول الله ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا، وعليكم ما حملتم"(٢).

ومن أشكال الخروج على الحاكم في هذا العصر ما يسمى بالمظاهرات والاعتصامات في المساجد ونحوها من الأماكن. وقد أفتى بعدم جوازها كل من سماحة شيخنا الإمام عبد العزيز ابن باز رحمه الله وشيخنا محمد بن عثيمين رحمه الله وشيخنا صالح الفوزان

(١) شرح العقيدة الطحاوية، علي بن أبي العز الدمشقي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٥٤٠-٥٤٤.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق، ح ٤٧٨٢.

والشيخ عبد العزيز الراجحي[(١)].

وفَّق اللهُ الجميعَ لصلاح النية والعمل، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه.

وكتبه

حامدًا مصليًّا

أ.د. محمد بن سرَّار بن علي اليامي



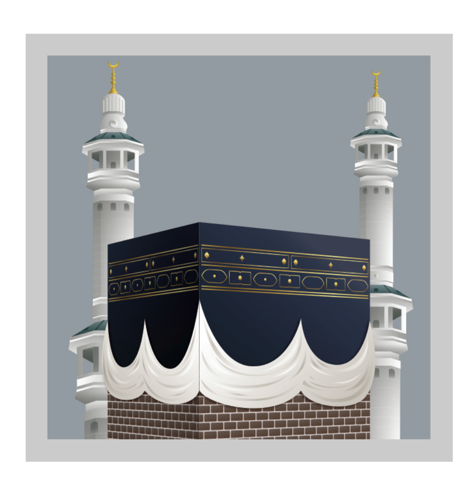
(١) الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية، محمد بن فهد الحصين، مطابع الحميضي، الرياض، ١٤٢٨هـ، ص ١٧٥-١٨١.

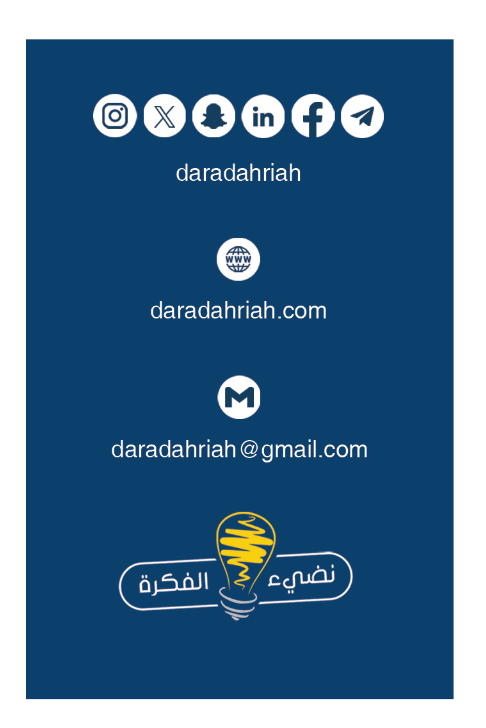


فهرس المحتويات

المحتويات — الصفحة


بحمد الله تم





الأستاذ الدكتور

محمد بن سرار بن علي اليامي